ن/909.159
ن ا/159

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة 8 ماي 1945 – قالمة

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية
قسم التاريخ و الآثار

قسم التاريخ و الآثار
تخصص: تاريخ عام

جامعة 08 ماي 1945 قالمة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ والآثار

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام

بعنوان:

مقاومة الأمير عبد القادر و الحاج أحمد باي قسنطينة
(1847 -1830) (1848 – 1830)

من إعداد الطالبتين:
– صوادقية عائشة
– ضيف الله صليحة

تحت إشراف الأستاذ:
د. صالح فركوس

لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
شايب قدادرة	أستاذ محاضر أ	رئيسـاً	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
صالح فركوس	أستاذ التعليم العالي	مشرفاً و مقرراً	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
سعاد برمضان	أستاذة مساعدة أ	عضواً مناقشاً	جامعة 8 ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية:

2012/ 2011

الـــــــــتشكرات

الحمد لله الذي أعطانا من فيض علمه ،الحمد لله الذي وفقنا لهذا وما كنا له مقرنين،نشكر الله عزوجل أولا الذي أوصلنا إلى هذا المقام الذي نحن فيه ،الحمد لله لعز جلاله الذي أعاننا بفضله على إتمام هذا العمل المتواضع.

ندين بالشكر إلى الأستاذ المشرف "**صالح فركوس**" الذي لم يبخل علينا بنصائحه كما نتوجه بالشكر إلى عمال مكتبة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة قالمة خاصة لمياء شعبان وكمال بولعراس ،وكذلك عمال مكتبة الجامعة الإسلامية الأمير عبد القادر بقسنطينة بالأخص فرع الدوريات ونشكر أساتذة قسم التاريخ والآثار وشكر خاص إلى عمار وخالد على مجهودهما في كتابتي هذا العمل، إلى كل من ساهم من قريب أو من بعيد في انجاز هذا العمل.

خطـــــــــة البحث

- **مقدمة**
- **مدخل** : سيرة الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي قسنطينة.
- **الفصل الأول: مقاومة الأمير عبد القادر المرحلة الأولى (1830-1837م).**

  أولا: موقف الأمير عبد القادر من الحكم التركي و الحاج أحمد باي.

  ثانيا: مقاومة الأمير من 1830 إلى غاية معاهدة ديميشال.

  ثالثا: مقاومة الأمير من معاهدة ديميشال إلى معاهدة التافنة 1837.
- **الفصل الثاني: مقاومة الأمير عبد القادر المرحلة الثانية (1837 -1847م).**

  أولا: دولة الأمير عبد القادر.

  ثانيا: استئناف المقاومة (1839-1847 م).

  ثالثا: طلب الأمان .

  رابعا: نهاية الأمير عبد القادر.
- **الفصل الثالث: مقاومة أحمد باي المرحلة الأولى (1830-1836م)**

  أولا:التعريف ببايلك الشرق الجزائري.

  ثانيا: مواقف أحمد باي من الأمير عبد القادر.

  ثالثا: مقاومة أحمد باي ضد الاحتلال 1830.

  رابعا: إدارة أحمد باي و تنظيم قواته العسكرية .
- **الفصل الرابع: مقاومة أحمد باي المرحلة الثانية (1836-1848م).**

  أولا: محاولة إحتلال قسنطينة سنة 1836.

  ثانيا: سقوط مدينة قسنطينة 1837 .

  ثالثا: استئناف المقاومة وتعبئة القبائل.

  رابعا:طلب الأمان و نهاية أحمد باي .
- **خاتمة .**

مقدمة

تقديم الموضوع :

إعتقد المحتل الفرنسي أن سقوط الجزائر العاصمة تحت صولته واستكباره أن القطر الجزائري بات تحت سيطرته، وأن المقاومة انتهت بنهاية الحكم العثماني التركي ولكن لم يلبث إلا قليلا في نشوة انتصاره حيث انطلقت المقاومة الجزائرية وتعالت صيحات الله اكبر في كل شبر من ارض الجزائر وكان من ابرز رجالات تلك المقاومة كرواد للجهاد في سبيل الله لتحرير البلاد والعباد، الأمير عبد القادر والحاج احمد باي قسنطينة اللذان هما حسب علمنا لم يدرسا دراسة تجمع بينهما في مقاومتهما وسوائلهما ولهايتهما .

ولذلك حاولنا في مذكرتنا هذه أن نثبت مسيرتهما من خلال المصادر والمراجع لنضيف إلى المكتبة دراية قد يرجع إليها كثير من الباحثين والقراء آملين أن تكون في المستوى .

الإشكالية:

تطرح موضوعا في غاية الأهمية :

- أي كيف كانت مقاومة الأمير عبد القادر والحاج احمد باي للاحتلال الفرنسي ؟

هذا التساؤل الكبير يطرح تساؤلات فرعية كالتالي :

- هل يمكن معرفة سيرة الأمير وخلفيات هذه السيرة ؟
- كيف كانت مقاومة الأمير للاحتلال الفرنسي ؟
- كيف كانت مواقفه اتجاه هذا المحتل ؟
- كيف كانت مواقفه اتجاه الأتراك والحاج احمد باي قسنطينة خاصة ؟
- كيف أسس دولته وما هي تنظيماتها ؟
- كيف كانت نهايته ؟

أما بالنسبة للأحمد باي فنطرح التساؤلات التالية :

- هل يمكن معرفة سيرة الحاج احمد باي؟
- كيف كانت مقاومته للاحتلال الفرنسي ؟
- كيف كانت مواقفه اتجاه الأمير عبد القادر؟

- كيف كانت تنظيمات الحاج احمد باي لإقليم قسنطينة ؟
- كيف كانت نهايته ؟

أسباب اختيار الموضوع :

1- و من بين الأسباب الموضوعية الكامنة وراء دراسة هذا الموضوع كونه يتحدث عن شخصيتين من ابرز القادة العسكريين و السياسيين الجزائريين، كان لهما الوزن الثقيل في تاريخ الجزائر، خاصة وأن مقاومة الحاج احمد باي في قسنطينة تزامنت مع مقاومة الأمير عبد القادر بالغرب الجزائري وبهذا اكتسى الموضوع أهمية بالغة .

2- معرفة الأوضاع والأسباب التي هيأت للطرفين تنظيم مقاومة وتزعمها، سجلت أروع وأشجع البطولات التاريخية في وجه المحتل الفرنسي، الذي كان متفوقا عليها بالعدة و العتاد .

3- محاولة فهم حقيقة العلاقة بين الزعيمين وفهم الأسباب التي كانت وراء اختلافهما والكشف عن سر هذا الخلاف.

4- إن شخصية الحاج احمد لم تحض بدراسة وافية وشاملة لدى الكثير من المؤلفين، فلا تزال هذه الشخصية تطرح تساؤلات كثيرة، السبب الذي جعلنا نتطرق له بالدراسة والبحث لإزالة ولو القليل من الغموض عن حياته و مقاومته.

5- شخصية الأمير عبد القادر التي ما تزال إلى يومنا هذا محل جدل ونقاش بين الدارسين لتميز مقاومته من خلال انجازاته والمتمثلة في إنشاء دولة على الطراز الحديث وتنظيم الجيش وصناعة الأسلحة، بالإضافة إلى اعتماده على مبدأ الشورى في القيادة.

منهج البحث:

لقد اتبعنا في هذا البحث منهجين هما المنهج الوصفي والمنهج التحليلي،فالمنهج الوصفي الذي سردنا فيه الأحداث التاريخية من معارك بالعمل على وصفها، تسهيلا للاطلاع على تفاصيل الأحداث و الوقائع لكلا المقاومتين، مبرزين مميزات كل منهما.

أما المنهج الثاني فهو التحليلي، الذي وظفناه في تحليل المعاهدات ومواقف الأمير من الحكم التركي و الحاج احمد باي خاصة ثم مواقف الحاج احمد باي من الأمير عبد القادر.

صعوبات البحث:

واجهتنا مجموعة من الصعوبات في انجاز هذا البحث منها غزارة المادة العلمية وصعوبة انتقاء واختيار المعلومات بدقة، هذا بالنسبة لمقاومة الأمير عبد القادر عكس مقاومة الحاج احمد باي، فالمادة العلمية قليلة إذ لم يتناوله إلا قلة من المؤلفين، وهنالك من يشير إلى هذه الشخصية

بإشارات سطحية فقط، وهذا صعب علينا الأمر في جمع المعلومات الخاصة في مرحلة المقاومة بعد سقوط قسنطينة سنة 1837، وكذلك الجانب الإداري لبايلك.

محتويات البحث:

حاولنا التعرض لهذه المقاومة ضمن الفترة المخصصة للبحث، فقسمنا هذا الموضوع إلى مدخل وأربعة فصول:

- المدخل: تناولنا فيه سيرة الرجلين من حيث المولد والنشأة.
- الفصل الأول: وهو تحت عنوان "مقاومة الأمير عبد القادر، المرحلة الأولى من سنة 1830 إلى سنة 1837"، وتتضمن ثلاثة عناصر هي :

أولا موقف الأمير من الحكم التركي والحاج احمد باي، والعنصر الثاني مقاومته من سنة 1830الى غاية معاهدة ديميشال، أما في العنصر الثالث تعرضنا فيه للأحداث التي وقعت من معاهدة ديميشال إلى معاهدة تافنة سنة 1837.

- الفصل الثاني: "مقاومة الأمير المرحلة الثانية من سنة 1837 إلى غاية 1847" تناولنا فيه :

أولا دولة الأمير من حيث التنظيمات الإدارية، القضائية، العسكرية وحتى الاقتصادية أما العنصر الثاني (استئناف المقاومة 1839 – 1847) ، تطرقنا في هذا العنصر إلى نقض معاهدة تافنا ومواصلة المقاومة، ثم يليه العنصر الثالث طلب الأمان واخيرا نهاية الأمير.

- الفصل الثالث : " مقاومة الحاج احمد باي المرحلة الأولى : (1830-1836)" وانطوى تحته أربعة عناصر أولها التعريف ببايلك الشرق من حيث الموقع الجغرافي للمنطقة أما ثانيا تطرقنا إلى مواقف الحاج احمد باي من الأمير عبد القادر، ثم العنصر الثالث تضمن مقاومة احمد باي للاحتلال الفرنسي، وأخير العنصر الرابع خصصناه لإدارته وتنظيم قواته العسكرية.

- الفصل الرابع : "مقاومة الحاج احمد باي المرحلة الثانية من سنة 1836 إلى غاية 1848 " ، انطوى تحته أربعة عناصر :

العنصر الأول محاولة احتلال مدينة قسنطينة سنة 1836 والتي توجت بفوز الحاج احمد باي وقواته العسكرية، ثم يليه العنصر الثاني سقوط مدينة قسنطينة سنة 1837، أما العنصر الثالث استئناف المقاومة و تعبئة القبائل، وهي محاولة الحاج احمد إيقاظ شعورالسكان لتلبية نداء الجهاد ضد المحتل، وأخيرا طلب الأمان ونهاية احمد باي .

فضلا عن مقدمة وخاتمة للموضوع.

الدراسات السابقة :

صحيح أن هناك دراسات سابقة تطرقت إلى موضوع مقاومة الأمير عبد القادر والحاج احمد باي ، فعلى سبيل المثال :

شارل هنري تشرشل في كتابه " حياة الأمير عبد القادر "، وصالح فكروس " الحاج احمد باي قسنطينة 1826- 1830 ".....إلخ.

المصادر والمراجع :

وبغية الإجابة على إشكالية البحث

.، اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع العربية والأجنبية منها :

1 – " تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر " لمحمد بن عبد القادر فيما يتعلق بشخصيته.

2 – كتاب «المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر" للعربي إسماعيل، والذي ساعدنا في الفصلين الأول والثاني من مقاومة الأمير لاحتواء هذا الكتاب على معلومات وتفاصيل دقيقة حول المقاومة خاصة المعارك التي خاضها الأمير ضد المحتل.

3 – " التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري " لأديب حرب أفادنا في توضيح إستراتيجية الأمير الإدارية والعسكرية.

4 – "حياة الأمير عبد القادر " شارل هنري تشرشل استفدنا منه بالأخص في معاهدتي تافنا وديمشال .

5 – أيضا " مذكرات الحاج احمد باي و وبوضربة " لمحمد العربي الزبيري، اعتمدنا على هذه المذكرات في الفصلين الثالث والرابع من مقاومة الحاج احمد باي، وقد احتوت هذه المذكرات على معلومات مهمة حول جوانب مختلفة من حياة الحاج احمد، أفادتنا كثيرا في بحثنا .

6 – بالإضافة إلى كتاب " الحاج احمد باي قسنطينة " لصالح فكروس، هذا المرجع يحوي معلومات مهمة ودقيقة، لأنه يلقي الضوء على شخصية الحاج احمد ومقاومته ضد المحتل حتى طلب الأمان ونهاية المقاومة، وهذه المعلومات قليلة في المراجع الأخرى، واعتمدنا عليه بصورة متكررة في الفصلين الثالث والرابع .

بالإضافة إلى مجلات منها مجلة الثقافة، عدد خاص بالذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر.

خاتمة الموضوع:

أما في الخاتمة فقد حاولنا أن نجيب عن الإشكالية المطروحة في المقدمة، و ما تفرع عنها من تساؤلات على أن نبين ذلك في خاتمة البحث.

المدخل

سيرة الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي

أولا : سيرة الأمير عبد القادر:

1 - مولـــده و أصلـــه

2 - نشأة الأميـــر عبد القادر

3 - مبايعة الأمير عبد القـــادر

4 - آثار الأميـــر عبد القادر

أ - آثاره الشعرية

ب - آثاره النثرية

ثانيا : سيرة الحاج الحمد باي

1- مولده و نشـــأته

2- صفـــاته

أولا : سيرة الأمير عبد القادر:

1- مولـــده و أصلـــه :

ينحدر عبد القادر بن محي الدين من أقدم الأسر العربية، و قد كان أجداده يحكمون البلد[1].

وفي تحديده لشجرة نسبه ، ختم عبد القادر ذلك بقوله : " أقام أجدادنا بالمدينة المنورة ، وكان أول مهاجر منهم هو إدريس الأكبر الذي أصبح سلطانا على المغرب و أسس مدينة فاس وبعد أن تزايد عدد ذريته تفرق خلفه ، ولم تستقر عائلتنا في غريس قرب معسكر إلا في عهد جدي و قد ذاع صيت أجدادي في الكتب و في التاريخ بفضل علمهم و تقواهم "[2].

فهو عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى بن محمد بن المختار بن عبد القادر بن احمد المشهور بـ " ابن خد " ابن محمد بن عبد القوي بن علي بن احمد بن عبد القوي بن خالد بن يوسف بن احمد بن بشار بن محمد بن مسعود بن طاووس بن يعقوب بن عبد القوي بن احمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط رضي الله عنهم[3].

فعبد القادر كان احد أبناء الرجل الشريف محي الدين الذي قدم احد أسلافه المسمى عبد القوي في القرن الثامن من المغرب ، حيث استقرت عائلته قبلا بعد قدومها من المدينة المنورة ليجد في مقاطعة وهران و بالضبط في سهل غريس الواسع المزدهر، القبيلة التي أعاد تشكيلها أحفاده بني هاشم الذين ينتمون إلى إحدى كبريات العائلات القرشية العتيقة و أقام عبد القوي و باقي أفراد الدوار في سهل غريس [4] .

---

[1] - الكولونيل سكوت : مذكرات الكولونيل سكوت عن إقامته في زمالة الأمير 1841 ، ترجمة و تعليق إسماعيل العربي الشركة الوطنية للنشر و الطباعة الجزائر ،ص - ص 198 ، 108.

[2]- Mahfoud Kaddache L'émir Abdelkader,collection "arts et culture",n°7.ministère de l'information et de la culture ,Alger 1974 , p 10

[3] - محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر ، تعليق ممدوح حقي ،ج1 ، ط2 دار اليقظة العربية ، بيروت 1964 ، ص 980 .

[4] - قدور محمصاجي ، شباب الأمير عبد القادر ، أصله ، طفولته ، تربيته .....، ترجمة مختار محمصاجي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر.2007 ، ص 35.

و يقع مقر هذه الأسرة في قرية على الضفة اليسرى لوادي الحمام على مسافة حوالي عشرين كلم غربي مدينة معسكر و القرية (قطنة وادي الحمام) عبارة عن عدد صغير من المنازل تشمل على زاوية كانت مقصد العلمـــاء و المرابطين و الشخصيات المعروفة كما قلنا سابقا في المنطقة .

عاشت هذه الأسر على ما تكتسبه من زراعــة و من العوائد التي يقدمها الأنصار والأتباع من قمح و صوف و غيرها ، و كان رئيس هذه الأسرة محي الدين متزوجا بأربع نساء و هن وريدة ، التي ولدت له ابنين محمد السعيد و مصطفى [1]، و وضعت الزهراء عبد القادر رابع إخوته عندما كان والده الحاج محي الدين يبلغ السابعة و الأربعون من عمره [2] .

كان ذلك في يوم 23 رجب سنة 1223هـ الموافق لشهر ماي سنة 1807م في القيطنة[3] وفي أرجح الأقـــوال و حسب تحفة الزائر لمحمد بن عبد القادر كما و ضعت بنتا اسمها خديجة و فاطمة التي ولدت له الحسين و خيرة أنجبت له المرتضي[4] ، و انتصب أبوه لمقاومة الاحتلال الفرنسي في منطقته و أعانته على ذلك الطريقة القادرية التي تنسب إلى أسرة محي الدين والد عبد القادر[5] .

فكما و جدنا اختلافا في ميلاد الأمير عبد القادر بين سنتين 1807-1808 حسب المؤرخين فإننا نرجح مولده في ماي 1807 و قد اجمع على ذلك معظم الذين أرخوا قديما و حديثا ، كالأمير تشرشل ، البيطار ، الحنفاوي ، زيدان شيخو و غيرهم من المؤرخين [6].

وفي اليوم السابع من الولادة المسمى " السبوع " أو "السابعة " أقيم حفل من اجل تسمية الصبي و كانت التقاليد تقتضي طبعا أن يحمل المولود الجديد اسم ولي الطريقة القادرية

---

[1] - إسماعيل العربي : المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1982، ص- ص 82 ، 83 .

[2]- kateb yacine.ABC-el-kader et l'independance algerienne,société national d'édition de diffusion direction production,alger , 1983, p 36

[3]- Charles_ Henri : Churchill . La vie de Abd-el-Kaddar , introductionet notes de Michel Hasbart cetrouveage a été sur les presses de la S.N.E.D inprimerie la bur .Alger .

[4] - إسماعيل العربي : المرجع السابق ، ص 37 .

[5] - رزاقي عبد الرحمن : المقاومة الشعبية للاستعمار الفرنسي تحت لواء الامير عبد القادر ، مجلة الباحث ، العدد 4، مجلة تاريخية ، الجزائر ، ص 62 .

[6] - محمد بن عبد القادر : المصدر السابق ، ص 982 .

و كان على محي الدين والد الصبي أن يتخذ القرار في هذا الاختيار، فسماه "عبد القادر " و كان اسم "عبد القادر " يتردد على كل الألسنة ، لأنه اسم يحمله النبلاء و الأشراف ، و هو مذكور عدة مرات في سلسلة نسب شيخ قبيلة بني هاشم ، و بما أن العادة المنتشرة آنذاك هو منح المولود الجديد اسما مزحيا فإن عبد القادر منح إسما آخر هو " ناصر الدين " غير أن الاستعمال المتكرر أبقى على إسم " عبد القادر" فقط .

2- نشأة الأميـر عبد القادر :

عندما بلغ عبد القادر الخامسة من عمره، أقيم على شرفه حفل آخر دام ثلاثة أيام، كان ذاك حفل الختان.

وبدأ محي الدين منذ هذا الوقت بالذات، يبدي اهتماما اكبر بولده بعد أن اكتشف لديه طبعا حازما ورجولة حقيقية بارزة. فعمد على تنشئته من الصغر على مصاحبته، فكان يشاركه طعامه ويعلمه بعض مبادئ حسن الهيئة، وكان قصده من وراء ذلك هو إعداده لمكانة مرموقة في مجتمع الرجال، ودربه في الوقت ذاته على الأعمال الصغيرة والمفيدة في الحقول ولقنه التمييز بين الأراضي الصالحة من غير الصالحة، وأذاقه شيئا فشيئا طعم الصيد وركوب الخيل والرماية ولكنه ألح عليه بوجه خاص في أن يستمع للطلبة حتى يطلع على أهمية أن يكون الإنسان متعلما[1].

حيث تعلم عبد القادر القراءة والكتابة وعمره لا يتجاوز خمس سنوات وحفظ القرآن الكريم وكانت له معرفة بأصول الشريعة ولم يتجاوز سنه 12 من عمره[2].

إذا فقد تربى عبد القادر في حجر والده الذي تعمد تربيته بنفسه وأحاطه برأفته فكان بذلك موضع اهتمام خاص وعطف متميز[3]، وتعليمه القراءة والكتابة وتقوية شخصيته وملكة الذكاء لديه[4] كما ذكرنا سابقا.

---

[1]- قدور محمصاجي : المرجع السابق، ص- ص 54 ، 65 .

[2]- آسيا تميم: الشخصيات الجزائرية، (100 شخصية تاريخية وفكرية)، دار المسك، ص15.

[3] - فؤاد صالح السيد: الأمير عبد القادر الجزائري متصرفا وشاعرا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985،ص ص 33 ، 34 .

[4] - كاتب ياسين: الأمير عبد القادر واستقلال الجزائر، ترجمة، محمد هناء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1989، ص 05.

تعلم على يد أبيه العلوم الإسلامية[1] ، ثم انتقل إلى وهران مع والده محي الدين الذي وضعته الحكومة التركية هناك تحت الإقامة الجبرية ، وهناك في وهران استطاع عبد القادر أن يضيف إلى ثقافته الأولى معارف أخرى من علمائها خاصة انه أدرك في تلك الفترة ضعف الأتراك السياسي والعسكري مع استغلالهم للطبقات الشعبية الكادحة[2].

ولما سافر إلى مدينة "آرزيو" حيث اخذ عن قاضيها سيدي احمد بن الطاهر علم الفلك والحساب والجغرافيا والتاريخ المعاصر[3]، وقد درس بالإضافة إلى العلوم العربية "أفلاطون" " فيثاغورس " و "أرسطو"، النباتات الطبية[4]، كما انه عندما بلغ 15 من عمره أرسله والده إلى وهران ليتتلمذ على يد "سيدي بن خوجة" بصحبة العائلات القوية من بين العرب والترك في المدينة، بعد دراسته في وهران لمدة عام عاد إلى معسكر وبعد فترة قصيرة أوفده أبوه لدى "سيدي علي بوطالب" شيخ قبيلة المغاربة لحل مسألة كانت عالقة بين القبيلتين فكانت فرصت نشأة فيها علاقة عاطفية بينه وبين ابنة الشيخ "خيرة" والتي توجت بقران الشابين على الطريقة التقليدية اللائقة بأسر الخيام النبيلة.

ولما قرر محي الدين التوجه إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج اصطحبه معه فلما علم داي وهران بذلك أمر بإلقاء القبض على الحاج محي الدين وابنه خوفا من أن يتحول الموكب لحركة ثورية فأصبحت حياة الرجلين رهينة إرادة الداي، لكن هذا الموقف لم يخف عبد القادر رغم انه كان شاب وتوجه إلى الداي قائلا: "نحن لا ننوي القيام بثورة، وان موكبنا لقادر أن يطوي المسافة التي تفصلنا عن مكة رغم ما ينتظرنا من مخاطر فأمدنا بسفن وسنبحر على مرأى منكم....." .

ففكر الداي وتداول في الأمر بعض الوقت ثم أطلق سراح سجينيه ولعلنا نلمس من خلال هذا الموقف معرفة عبد القادر كيفية الرد على المستبدين[5] .

---

[1]- ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930 ،ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1983، ص40.

[2] - يحيى بوعزيز: الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، الدار العربية للكتاب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس ص41.

[3] - محمد العربي الزبيري: الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر، سبتمبر1982، ص- ص 12،13.

[4]- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص – ص 40،41.

[5]- كاتب ياسين: المرجع السابق، ص- ص 07، 10.

فقصد بيت المقدس في سنة 1826، فزار أثارا فيها، ومر إلى حطين حيث كانت الواقعة الكبرى بين صلاح الدين والصليبيين ثم توجه إلى " يافا " والتقى حسن الدجاني الحسيني فإلتقاه أعيان البلدة داخلها وخارجها فقال فيه (عبد القادر) حسن أفندي أخو المفتي :

عهدنا يغربي مطلع البر مشرقـــــا	وان نراه الآن قد لاجا مشرقـــــا
وللعرب أصل الفضل إذ هو مطلـــع	وان يكن بدر السم في الشرق أشرق
رعى الله بدر قد سرى، مدا أســرى	إلى الحرم القدسي وهام شـــــوق
فلله يوم به من يوم وصل به الهنـــا	وجاد بشر الإنس بالوصل التقـــي
وأشرقت الدنيا بنلتمه النـــــــي	بدت شمس حسن نورها قد تألـــق

بعد أن أقام محي الدين وابنه ثلاث أيام توجها إلى زيارة قبر سيدنا الخليل إبراهيم ثم توجه إلى القدس الشريف لزيارة المسجد الأقصى ونزل في دار ناظر أوقاف "سيدي أبي مدين الغوث" وأقام عبد القادر هناك أيام يتعاط أصناف العبادة، وزار بيت لحم، وقبر سيدنا موسى عليه السلام، ثم توجه إلى بحيرة لوط، ومنها إلى نابلس وزار قبره معاذ بن جبل وأبو عبيد بن الجراح[1].

أتاحت للفتى فرصة أداء فريضة الحج أن يتعرف على تونس الخضراء وكذا مصر وأعجب بكل ما قام به محمد علي في مصر من خلال الإسكندرية والقاهرة وعلى منجزاته خاصة في المجال الزراعي والجيش الذي استفسر فيه عن أدق تفاصيل تنظيمه بالطريقة العصرية التي كانت عليها مصر في تلك الأثناء[2].

كما زار طرابلس ومن ثم إلى دمشق فبغداد التي زار بها القطب الراني سيدي عبد القادر الجيلاني (431هـ-561هـ) (1078م-1166م) ومنها قام بزيارة الأماكن المقدسة للمرة الثانية [3].

---

[1]- محمد بن عبد القادر :المصدر السابق، ص599.

[2]- محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص15-16.

[3]- محمد بلقراد: "الجانب الصوفي والثقافي في حياة الأمير عبد القادر، مجلة التاريخ، عدد خاص بالذكرى المؤوية لوفاة الأمير عبد القادر 1883 -1983، المركز الوطني للدراسات التاريخية،الجزائر 1983، ص62.

وقد أتاحت رحلة الأمير عبد القادر بصحبة والده إلى الحج عدة فرص مفيدة تمكن خلالها من الاطلاع على نظم البلدان العربية، وسيرة أعمالها في الإدارة والسياسة وكأن الأقدار كانت تعده بذلك لكي يخوض الكفاح ضد المستعمر الفرنسي[1]، فبعد أن رجع الأمير عبد القادر وأباه محي الدين من البقاع المقدسة بطريق البحر إلى الجزائر، حيث كان في استقبالهما جمع من العلماء والأعيان لتهنئتهما وبهذه الرحلة ازدادت سمعة محي الدين وذاع صيته، ومن ثم تصدى إلى للخصومات التي تنشب بين الكرغوليين والحضر في تلمسان ولو مؤقتا وساد هذا الجو من الانتقام والثأر وركود في الإنتاج الزراعي وعدم الاستقرار[2].

3- مبايعة الأمير عبد القـــادر :

بعد عدوان 1830، أدرك الرافضون للاحتلال الحاجة إلى قائد يوحد كلمتهم، ويزيد من قوتهم فأوفدوا جماعة من أشراف وعلماء المنطقة إلى "محي الدين" الذي عرفوه مقاتلا شجاعا وعالما يجيز العديد من طلبة العلم، علما أن القادرية التي يرأسها سافر فروعها في مختلف أنحاء الجزائر تنظيم ديني يؤمن مريدوه بإتباع[3] شيخهم في الطريق الذي يختاره خاصة إذا كان طريق الجهاد، يقول صاحب التحفة: " اجتمع الأشراف والعلماء واعيان القبائل من العرب والبربر وقدموا على حضرة الجد، وألزموه أن يقبل بيعتهم على الإمارة لنفسه وحاجوه في ذلك، بما أعجزه عن الاعتذار، فأمعن النظر في هذا الأمر، فرأى أن الاهتمام به واجب....."[4].

تسلم محي الدين الإمارة في أواخر شهر نيسان 1832م، فهاجم سرية استطلاع فرنسية قوامها مئة جندي في نواحي وهران، ملحقا بها الخسائر، حينها كان عبد القادر بن محي الدين مقاتلا عاديا يندفع بحماس ويقاتل تحت إمرة والده. أبرز المعارك التي قادها محي الدين هي معركة " خنق النطاق الأولى" في 3 ماي 1832م والثانية 4 و6 ماي1832م، كما وقعت اشتباكات عديدة بين الجزائريين بقيادة محي الدين

---

[1]- إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص39.

[2]- احمد مطاطة: "نظام الإدارة والقضاء في عهد الأمير عبد القادر"، مجلة الذاكرة، العدد الرابع، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1417ه-1996م، ص 169.

[3]- محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص ص 20،21 .

[4]- محمد بن عبد القادر الجزائري: المصدر السابق، ج1، ص 155.

والاحتلال الفرنسي، حيث أصبح الوضع اخطر عندما إتفق الفرنسيون مع قبيلتي الزمالة والدوائر على مجابهة محي الدين وابنه عبد القادر، ورفض الجنود الأتراك الانضمام إلى القتال لقلة عددهم وندرة عتادهم[1].

وبعد هذه الانتصارات العديدة وهزائم المحتلين النكراء بعث الأمل في قلوب الشعب وزعماء القبائل الجزائرية انه بإمكانهم إنقاذ بلادهم من براثين المحتلين[2].

وتحت هذا الوازع وفدت على مقر محي الدين عدة قبائل طالبة إياه المزيد من الهجمات على الفرنسيين، إلا أن هذا الأخير تقدم به السن، وأدرك يقينا انه لا يستطيع تلبية الرأي العام الملح على تولي الإمارة فاثر ذلك لابنه وقدمه على نفسه إلى الجمهور نظرا لعدة عوامل تؤهله إلى ذلك[3].

ويقول صاحب التحفة: " لقد رشح محي الدين ابنه عبد القادر للإمارة لأنه : بلغ أشده وأرهف جده وترشح للإمارة وتأهل لها، واستكملت فيه شروطها من الهدى وعلو الهمة وقوة الحواس وحسن الخلق وجمال الصورة وشرف النسب وعزة القوم والفتوة والعلم والحلم والحماسة والسماحة والعزم والحزم والتحفظ والتيقظ والارتقاء و إلى غير ذلك من أفراد الفواضل ومكارم الأخلاق ومحاسنها".

أثناء عرض الزعماء والعلماء على محي الدين البيعة مرة ثانية، شكر جميع الذين كانوا في منزله قائلا :" اشكر ثقتكم ولكن اعتذر عن قبول هذا المنصب فانا الآن أقوم بواجبين الديني والوطني مجاهدا في سبيل الله كأي واحد منكم" فوقف احد الزعماء واخذ يحاور قائلا: "إن هذا المنصب يزيدك قوة وهذا المنصب من سمات الجهاد بجمع الكلمة وإدارة شؤون العباد ونحن جميعا جئنا لنشد على يدك الطاهرة مبايعين على الطهارة والجهاد فلا تخذلنا...".

---

[1]- أديب حرب: التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري (1808-1847) ج1، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م، ص 80-81.

[2]- الأميرة بديعة الحسني الجزائري: وما بدلوا تبديلا (تفاصيل دقيقة عن جهاد الأمير عبد القادر الجزائري ودولته وهجرته،ط1، المطبعة العلمية، دمشق، 2002، ص22.

[3]- أحميدة عميراوي : دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، جامعة منتوري، معهد العلوم الاجتماعية، قسنطينة 1419/1998م، ص126.

علت وجه الشريف محي الدين ابتسامة الامتنان والتفت إلى الجميع مخاطبا وقال: " إن كان رأيكم وثقتكم بولدي عبد القادر كرأيكم بي فانا متنازل له عن هذه البيعة فتشاوروا بينكم وإذا عقدتم العزم فموعدنا في سهل غريس تحت شجرة الدردارة صباح الاثنين يوم الثالث من شهر رجب 1248هـ الموافق لـ 1832م وفي ذلك الصباح المشرق اخذ سكان مناطق غريس يتهامسون فيما بينهم عن سبب توافد، الزعماء والجموع عن مكان الموعد المذكور سابقا وعندما علموا أن نجل الشريف محي الدين مرشح سلطانا عن البلاد كبروا بأعلى أصواتهم (الله اكبر)، حيث جلس عبد القادر إلى جانب والده وإخوته الذين ملت وجوههم ابتسامة الرضا، لان كل منهم كان يدرك أن شقيقهم كان أكثرهم شجاعة وقوة تحمل، ولم يبدوا منهم اعتراضا على اختيار أبيهم له، وعندما اكتمل هذا الاجتماع التاريخي تقدم الوالد من عبد القادر مبايعا، وشد على يده قائلا: "كيف ستحكم البلاد يا ولدي "، أجاب عبد القادر: "بالعدل والحق الذي أمر به رب العالمين، سأحمل القران بيد وعصا من حديد بيد أخرى وسأسير على هدى كتاب الله وسنة رسوله"ثم خطب فيهم محي الدين قائلا لهم:" انه ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين لقب ليس سلطانا ولا ملك، وإنما أمير عليكم أيها الإخوة المؤمنون" [1].

واليوم الثاني الذي تلا البيعة اجتمع زعماء المناطق وكبار العلماء وحرروا صك البيعة الأولى الذي كتبه خالد أمير محمد بن عبد القادر المعروف ب "بن أمنة" وتلاه بيان احتوى أوامر السلطان الجديد إلى قبائل المنطقة، ينبذ الخلافات والتكاثف فيما بينهم لحماية البلاد والدفاع عنها، وفي4 شباط 1833م حصلت البيعة الثانية للأمير عبد القادر في الساحة الرئيسية لقصر الإمارة ودعوة الجميع للتأييد التام والطاعة المطلقة لتامين العدالة استتباب الأمن ومحاربة كل معتد [2].

[1] ـ الأميرة بديعة الحسني الجزائري: المرجع السابق، ص23-25 .
[2]- أديب حرب : المرجع السابق، ص 88 .

4- آثار الأميـر عبد القادر :

أ - آثاره الشعرية :

1- الديوان : و هو اكبر آثاره الشعرية ، و هذا الديوان لم ينظم في فترة زمنية معينة و لا في بقعة جغرافية معينة ، بل نظم على فترات متقطعة ، فقد رافق حياة الأمير منذ شبابه في ارض الجزائر إلى وفاته في دمشق .

و كانت فرنسا السباقة في محاولتها الأولى لجمع شعر الأمير عندما ظهر فيها كتاب بعنوان " أشعار الأمير " يضم بعض أشعاره .

أما المحاولة الثانية فقد قام بها الأمير محمد الذي جمع شعر والده في ديوان عنوانه " نزهة الخاطر في فريظ الأمير عبد القادر " و قد تم طبعه في مصر عام 1899م[1] .

2 - القصائد الواردة في مقدمة كتاب المواقف :

وردت هذه القصائد و المقطوعات في نهاية مقدمة كتاب " المواقف " و قد بلغ عددها تسع عشرة قصيدة و مقطوعة ، ثلاث منها وردت في الديوان و الباقية وردت في الكتاب فقط و تتميز هذه المواقف و المقطوعات بأنها تنتمي إلى فن التصوف [2].

ب - آثاره النثرية :

ترك الأمير آثار نثرية ذات قيمة علمية هامة و هي :

1- وشاح الكتائب و زينة الجيش المحمدي الغالب : رسالة في فنون الحرب تحتوي ملخص الأنظمة و القوانين العسكرية و أنواع العقوبات و المكافئات التي سنها الأمير للجيش الفتي ، و تدل الرسالة على ما كان للأمير من بعد النظر[3] .

2 – السقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل و الإلحاد :

---

[1] - قاسي فريدة : المرجع السابق ، ص – ص 72، 73.

[2] - محمد سيد محمد علي الوزير : الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته و آثاره في أدبه ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986 ، ص 95 .

[3] - فواد صالح السيد : الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا و شاعرا ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1985 ، ص ص 93 ، 94 .

الفصل الأول

أولا- موقف الأمير عبر القادر من الحكم التركي والحاج أحمد باي

ثانيا: مقاومة الأمير من 1830 إلى غاية معاهدة ديمشال

1. معركة خنق النطاح الأولى: 3 ماي 1832م
2. معركة خنق النطاح الثانية : 4-6 ماي 1832م
3. معركة رأس العيـــن
4. معاهدة ديميشال 26 فيفري 1834
5. نقض معاهدة ديمشال واستئناف التوسع الاستعماري
6. معركة غابة مولاي إسماعيل 26 جوان 1835
7. احتلال كلوزيل لمدينة معسكر

ثالثا : مقاومة الأمير: من معاهدة ديمشال إلى غاية معاهدة تافنة 1837م

1 . معركة المقطع
2 . معركة تافنة
3 . معاهدة التافـــــنة 30 مـــــــاي 1837

أولا- موقف الأمير عبر القادر من الحكم التركي والحاج أحمد باي:

إن موقف الأمير عبد القادر من الوجود العثماني التركي كان من مؤيد لموقف الطرق الصوفية فقد كان واضحا ضد الوجود العثماني فالطريقة الدرقاوية لها تاريخ دموي ضد الحكم العثماني، أما الطريقة القادرية بقيادة الحاج محي الدين وابنه عبد القادر عبرت عن عدائها القوي ضد الأتراك سواء في الميدان الحربي أو الإيديولوجي والاستراتيجي صحيح أنها لم تدخل في حرب ضد الباي الحسن في وهران، ولكنها حاربت خلفائه الذين ناصروا الفرنسيين أمثال إبراهيم بوشناق ومصطفى المقلش وآخرون.....[1].

حيث كانت علاقة الأمير بالدولة العثمانية علاقة عداء، نظرا للعديد من الاعتبارات أهمها اعتبار الأمير أن حكمها كان متعسفا وجائرا ومحتكرا لأهم الوظائف في الجزائر إلى جانب أنها أبدت موقفا عدائيا منه وإنها قدمت احمد باي عن الأمير الذي اتهمته بالتعاطف مع الفرنسيين، كما لم تعترف به وبمقاومته.

فالأمير كان لا يميل إلى العنصر التركي، ولا يطمئن إلى جماعة الكراغلة ولا يثق بموظفي البايلك ولا يتعاون مع فرسان المخزن وذلك بفعل انتمائه إلى الطريقة القادرية وانتسابه لقبيلة هاشم العربية الأصيلة وبحكم اكتسابه ثقافة عربية إسلامية وقد انتهى به الأمر بعد احتجازه بوهران هو وأبوه عندما كانا متوجهان إلى الحج إلى عدم الاعتراف بشرعية الحكام الأتراك وعدم التسليم بأحقيتهم في حكم البلاد، ولعل المبرر الوحيد في نظر الأمير للقبول باستمرار حكم الدايات، هو دفاعهم عن البلاد وحمايتهم لها من العدو الخارجي، ولكن بعد 1830م اعتبر الأمير أن الحكم التركي بالجزائر قد انتهى إلى الأبد وان ارتباط البلاد الجزائرية بالدولة العثمانية لم يعد أمرا واردا، فأبطل في دولته امتيازات الأتراك وألغى ما كانت قبائل المخزن وجماعة الكراغلة تحظى به من معاملة خاصة[2].

ولكي يعبر عن رأيه الجوهري، اعتبر ما حل بالجزائر من استعمار وضرر ناتج من سلوك الحكام الأتراك الذين تولوا حكم الجزائر قبل الاحتلال، وعلى الجيش الانكشاري الذي

---

[1] - أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص185 .

[2] - ناصر الدين السعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة و المعاصرة ، ج2، المؤسسة الوطنية للكتب ص – ص 207، 219 .

تعامل بسوء مع الأهالي في الجزائر، حيث عبر عن ذلك في العديد من رسائله ففي رسالة وجهها إلى السلطان عبد المجيد اظهر نقمته على تصرفات الأتراك وألقى كل المسؤولية فيما حل بالجزائر من ويلات عليهم إذ ذكر:" ما من مدينة من الإسلام دخلها الكفار إلا كان الينشارية هم دعاتهم إليها ومن سببها.....فذهبوا إلى تلمسان....أي الكفار باتفاق الينشاري الذين بها"[1].

بالرغم من هذا فالأمير اتصل بالسلطان العثماني بعد نقض معاهدة التافنة 20 أوت 1839م [2]، ويعود الفضل في دفع الأمير للاتصال بالباب العالي هو حمدان خوجة وقدر الباب العالي موقف الأمير[3] لكن هذه المحاولة باءت بالفشل لأن الباب العالي لم يتمكن من مد المساعدة للأمير عبد القادر ولا لغيره عندها أدرك الأمير مدى الضعف الذي وصلت إليه الدولة العثمانية.

كما ينبغي أن نوضح في هذا الصدد ونحدد الموقف الصحيح للأمير من بقايا السلطة العثمانية في الجزائر، فمن دلائل عدم إنكار الأمير للدولة الجزائرية في عهد الدايات أو العهد العثماني برغم انتقاده لما ينتقد في بعض تصرفاتهم، والتي كانت عديدة.

ففي عام 1845م، نجده وهو يجدد وقفا لمعهد علمي في مدينة مازونة، كان أسسه العالم محمد بكداش الذي حرر وهران سنة 1807م، يقول الأمير في هذا: " وحددنا لهم حكم المتقدمين " قاصدا بذلك وقف الداي محمد بكداش المذكور.

فلو كان يعتبر الدايات أشرار لما وصفهم بالمتقدمين(أي السلف) وما كان يرضى ليكون خلفا لشر سلف، ومن هنا ينبغي إعطاء تحليل موضوعي لموقف الأمير من الأتراك وحكمهم في الجزائر[4].

---

[1]- احمد توفيق المدني: أبطال المقاومة الجزائرية، حمدان خوجة، احمد باي،الأمير عبد القادر،والدولة العثمانية، مجلة التاريخ: التي يصدرها المركز الوطني للدراسات التاريخية، العدد4، 977 ، ص – ص 102 ،103 .

[2]- ناصر الدين السعيدوني: المرجع السابق، ص219 .

[3] - أحميدة عميراوي: دراسات في تاريخ الجزائر الحديث ، المرجع السابق ، ص – ص 133، 134.

[4]- نايت بلقاسم مولود بلقاسم: استمرارية الدولة الجزائرية في نظر الأمير عبد القادر أو الأمير عبد القادر والخلافة العثمانية، الثقافة، عدد خاص، 75، 1403ه-1984م، ص - ص 47-48 .

أما عن موقف الأمير من احمد باي فلا شك أن موقف الأمير المعارض لاستمرارية الحكم التركي في الجزائر، تكشف لنا عن موقفه من الحاج أحمد باي الذي لم يكن يختلف في نظره عن باقي الحكام الأتراك الذين حملهم مسؤولية احتلال الجزائر من طرف المحتل فالعلاقة بين الأمير والحاج احمد تحكمت فيها عدة عوامل سياسية و تاريخية و ثقافية و حتى نفسية و من بين هذه العوامل :سياسة الأتراك في إدارة البلاد التي أدخلت المجتمع الجزائري فرقة مستمرة،نتيجة السياسة التقليدية للأتراك المعروفة وهي "سياسة فرق تسد" التي كانت تغذي الفتن والتناحر بين القبائل حتى لا تتحد ضدها.

أما من الناحية التاريخية فقد انتهى المبرر لاستمرار الحكم التركي في نظر الأمير حينما فشل الأتراك في الدفاع عن الجزائر و حماية البلاد من الوقوع تحت براثن الاحتلال .

أما من الناحية الثقافية، فالأمير عبد القادر بحكم انتمائه للطريقة القادرية واكتسابه الثقافة العربية الإسلامية و بمقتضى إنشائه دولة تعتمد على الشرعية الإسلامية في معاملاتها في معاملاتها،كان يسعى لتقديم بديلا للأوضاع التي أدت إلى الاحتلال في حين أن الحاج أحمد باي كان يمثل الماضي والمحافظة على الوضع الذي كان سائدا أيام الأتراك .[1]

أما العامل الاجتماعي الذي فرق بين الأمير وأحمد باي فيعود في أساسه إلى واقع العلاقة بين المدينة والريف فمن حيث تمركزت الأقليات التركية والعناصر الكراغلية في المدن من حيث نشاطها الاقتصادي وقدرتها الحربية وثقلها الديمغرافي التي تعتبر هامشية بالنسبة للمجتمع الجزائري آنذاك حيث كانت نسبة سكان الريف تمثل 95 % .

وهذا ما جعل الريف الجزائري ينطوي على قدرات عسكرية فعالة وإمكانيات اقتصادية كبيرة فمن هذه الأوضاع الاجتماعية التي كانت تعيشها المدن والأرياف الجزائرية يعود تباين واختلاف مفهوم ومميزات الكفاح الذي كان يخوضه كلا الطرفين.[2]

ومهما يكن من الأمر، فان الأمير أدرك بعد سقوط قسنطينة 1837 خطورة ما بينه وبين الباي فقد عثرنا لأول مرة على تقرير للجنرال "فالبوا" "بارشيف اكس اون بروفنس" بفرنسا

---

[1] - صالح فركوس: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر (1830- 1925) ، ج1 ، ط1 ، مديرية النشر لجامعة قالمة : الجزائر 2010 ، ص 44.

[2] - ناصر الدين السعيدوني : دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص 209.

أن الأمير عرض على الحاج أحمد الوحدة وذلك عام 1839 ضد العدو المشترك، بل كان يلح عليه لتحقيق هذا الأمر ولكن الباي كان في كل مرة يرفض له ذلك.

والخلاصة أن موقف الأمير عبد القادر اتجاه الأتراك وبقاياهم إنما كانت تنبع من قناعته الراسخة في أن الحكم التركي قد انتهى للأبد وان تبعية الجزائر للدولة العثمانية حتى وان كانت اسمية لم تعد واردة بعد فشل الداي في التصدي للغزو الفرنسي و وقوف الدولة العثمانية موقف المتفرج من الاحتلال الفرنسي للجزائر .[1]

ثانيا: مقاومة الامير من 1830 إلى غاية معاهدة ديمشال :

شارك الأمير عبد القادر في معارك عديدة ضد المستعمر الفرنسي تحت راية والده محي الدين في المراحل الأولى للمقاومة في الغرب، من ابرز المعارك التي قادها محي الدين رفقة ابنه عبد القادر معركتين اثنتين هما خنق النطاح الأولى و الثانية و معركة رأس العين[2].

1- معركة خنق النطاح الأولى: 3 ماي 1832م :

وقعت هذه المعركة بين جيوش الاحتلال الفرنسي و القوى الشعبية بالقرب من مدينة وهران حيث جهز محي الدين سرية على رأسها عبد القادر بن زيان الزياني، أرسله للاستطلاع على أخبار العدو في وهران، فوجدهم معسكرين في ساحة خنق النطاح [3] .

ثم جمع محي الدين عدة آلاف من المجاهدين واتجه على رأسهم إلى مدينة وهران ولما وصلوا شنوا هجوما على المنطقة [4].

وكان الأمير عبد القادر بين الصفوف بمعية والده واستمر القتال إلى أن انتصر المسلمون على عدوهم [5] .

---

[1] - صالح فركوس: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر (1830-1925) ، المرجع السابق ، ص- ص 44 ،45.

[2] - أديب حرب: التاريخ العسكري و الإداري للأمير عبد القادر الجزائري، ج1، المرجع السابق ، ص – ص 98 ،107.

[3] - محمد بن عبد القادر : المصدر السابق ، ص 148.

[4] - إسماعيل العربي: المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر ،المرجع السابق ، ص 40.

[5] - محمد بن عبد القادر: المصدر السابق، ص 148.

2- معركة خنق النطاح الثانية : 4-6 ماي 1832م :

لم يكد العدو الفرنسي يفيق من صدمة هزيمته الأولى، معركة خنق النطاح الأولى حتى خطط محي الدين لهجوم آخر على قوات المحتلين، وكلف هذه المرة ولده عبد القادر بقيادة المجاهدين[1] .

فنهض الأمير عبد القادر إلى وادي سيق * و تلاحقت الجموع به ثم إرتجل إلى عين الكرمة وهي على مسافة قريبة من وهران[2]، وكان الجنرال بوييه** قد وصلت إليه إمدادات كبيرة من فرنسا فأعد جنوده للمواجهة بشكل جيد في نفس المكان الذي هزم فيه أي خنق النطاح، فقسم قواته إلى ثلاث فرق و استعد[3] .

وارتحل عبد القادر للقتال و قسم هو الآخر جنده إلى خمسة فرق، فرقتين للقتال، فرقتين للدفاع وفرقة جعلها في المؤخرة تعد الكمائن وراء العدو، والتقى الفريقان وعلا صوت البارود ودخان البنادق [4].

ولم يطل أمد المعركة حتى انهزمت قوات جيش العدو، فولى الجنود هاربين من المعركة فلقيهم الكمين، أما الجنرال بوييه أخذ ما تبقى من جنوده وشن بهم هجوما على قوات المجاهدين فسقط منهم شهداء من بينهم شقيق عبد القادر الأكبر محمد سعيد واستشهد في هذه المعركة 200 مجاهد أما العدو الفرنسي خسر أكثر من ألف من جنوده[5] .

3 – معركة رأس العيـــن :

بعد انهزام الجنرال بوييه أرسل مستنجدا بالحاكم العام للجزائر فانجده بعدة بعثات حربية ودبرت المكائد المتباينة للهجوم على المسلمين، فوصل هذا الخبر إلى محي الدين الذي عمل على جمع الشمل والكلمة استعدادا للهجوم على العدو المتوقع، وعقد لولده عبد القادر لواء الجهاد فنزل العدو بـ "واد سيق " بناحية برج العين غربي وهران حتى التقى

---

[1] - بديعة الحسني الجزائري: و ما بدلوا تبديلا، ط1، المرجع السابق ، ص 20.
[*] سيق: منطقة تقع في الغرب من معسكر و جنوب شرق وهران.
[2] - محمد بن عبد القادر، المصدر السابق ، ص 151.
[**] الجنرال بوييه (1772 -1851) قائد منطقة وهران في الجيش الفرنسي خلال السنوات الأولى من الإحتلال.
[3] - بديعة الحسني الجزائري:المرجع السابق ، ص 20.
[4] - محمد بن عبد القادر، ص 151.
[5] - بديعة الحسني الجزائري: ص 20- ص 21.

الجمعان و كان القتال على أشده بينهما وأدى إلى انهزام العدو في 02 ذي الحجة 1247 هـ الموافق لـ 04 ماي 1831م وضرب عبد القادر على مدينة وهران حصارا دام شهرا وكانت وقعة وهران في رجب 1248هـ الموافق لـ نوفمبر 1832م التي إنهزم فيها الجزائريون فعادوا إلى مراكزهم [1].

ولبلاء الرجلين طلب السكان من محي الدين قيادة صفوفهم في سنة 1832 إلا انه اعتذر لكبر سنه و أشار إلى ابنه عبد القادر الذي كان عمره آنذاك أربعة وعشرون سنة وقد برز من خلال مشاركته في المعارك التي خاضها سكان وهران ضد الجيش الفرنسي[2].

وبعد انتصارات عديدة الأمير على قوات الاحتلال بقيادة الجنرال "بوابيه" وكذلك قتاله المتواطئين والمتقاعسين عن الجهاد، حيث قرر أن يقارع بسيفه الذين يشكون أو يحاولون أن يقاوموا سلطته وخاصة منهم قبيلتي الدوائر والزمالة اللتان بدأتا تتعاون مع الفرنسيين ضد الأمير وكذلك كان ابن نونة زعيم تلمسان قد اعتبر نفسه ممثل لسلطان المغرب الأقصى عبد الرحمن رفض هو الأخر الاعتراف بالأمير [3].

حيث دارت معارك بين الأمير وهؤلاء المتواطئين من أهمها التي وقعت بسهل الشلف في 15 جانفي 1833 بين الأمير وسيدي العربي أحد زعماء قبيلة الفلبتة وكذلك دارت معركة قصيرة بين احمد بن الطاهر والأمير في سهل الهبرة بتاريخ 13 أفريل 1833 .

وبعد هذا استبدل الجنرال "بوبيه" بالجنرال "ديمشال"* بتاريخ 23 أفريل 1833 وفي الحين هاجم هذا الأخير قبيلة الغرابة مما دفع الأمير لتجهيز قوة من ألف جندي نظامي وعشرة آلاف فارس بقيادة أبو حميدي فكانت معركة التينة بتاريخ 27 ماي من العام نفسه ولم تكن فيها القوة متكافئة بسبب قصف المدفعية الفرنسية فاستشهد 80 مجاهد وجرح منهم الكثير.

كما كانت معركة عين البريدية في 11 جوان من السنة نفسها إذ قبض رجال الأمير قبل وقوع المعركة بأسبوع على 8 سدنة من المدفعية الفرنسية في المرسى الكبير، فخرج ديمشال

---

[1] - عبد الرحمان محمد الجيلالي : تاريخ الجزائر العام، ج4، دار الثقافة، بيروت، 1980، ص- ص 30 ،31.
[2] - يحي جلال: تاريخ المغرب الكبير العصور الحديثة و هجوم الاستعمار، ج3، دار النهضة العربية، بيروت، 1981 ص - ص 110، 111.
[3] - صالح فركوس : محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ،المرجع السابق ، ص - ص 24 ،25 .
* ديمشال (1779 - 1845): جنرال فرنسي خلف الجنرال بوبيه و الذي عقد معاهدة مع الأمير سميت باسمه.

بقوة تتألف من ألفي من المشاة و400 فارس و6 قطع مدفعية دارت معركة بين الطرفين استشهد فيها اقدر فرسان الأمير قدور بن طوبال وقاضي البرجية وقاضي الدوائر، ولم يستطع ديميشال أن يحرر أسراه بل استطاع الأمير أن يحرر مدينة ارزيو واضطرت القوات الفرنسية للعودة على عاقبيها إلى المرسى الكبير، ثم بعد أن تجهزت قوات الاحتلال من جديد عاودت الكرة بقوات تتألف من 1400 مقاتل استطاع بها ديميشال احتلال آرزيو ومستغانم في حين واصل الأمير هجماته على الحاميات الفرنسية المتحصنة بأسوار المدينتين وقد استحال عليها الخروج، الأمر الذي اضطر ديميشال تجهيز حملة من ثلاثة آلاف مقاتل بتاريخ 4 أوت 1833 ودارت المعركة يوم 6 أوت كان نتيجتها أن قتل نقيب و20 مقاتلا من العدو واكن مضيق ديميشال الحصار على مستغانم فحرمها من قبيلة الزمالة والدوائر واتفق مع الجنرال على تموين قوات الاحتلال بكل ما تحتاجه من مؤن، أما الأمير فقد عمد إلى فرض حصار على وهران و آرزيو و مستغانم[1].

يقول تشرشل في هذا الصدد: " حتى أصبحوا كالطيور الكاسرة يبحثون ويقعون على طعامهم في المناطق الداخلية"[2].

وخلال هذا الحصار تم اسر جنود فرنسيين في سجن معسكر حيث كتب ديميشال إلى الأمير يطلب إليه إطلاق سراح هؤلاء الجنود الأسرى فرفض الأمير، وفي رسالة أخرى عرض صراحة إجراء مقابلة معه وعقد معاهدة سلم فكانت معاهدة ديميشال .

4– معاهدة ديميشال 26 فيفري 1834 :

بوصول الجنرال ديميشال إلى وهران سنة 1833 م و على الرغم من نجاحه في الاستيلاء على وهران وأرزيو ومستغانم فإنه لم يغير الموقف لصالحه [3]، حيث وجد ديميشال نفسه مشلولا بجرأة و حضور خصمه الشهير في كل مكان و وجد موارده تنضب و إمداداته

[1] - صالح فركوس : المرجع السابق، ص 25 .
[2] - شارل هنري تشرشل: المصدر السابق ، ص 106 .
[3] - مصطفى طلاس : فارس الجزائر الأمير عبد القادر، طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، سورية ، ص 222 .

تنقطع و الجوع على وشك القضاء على رجاله، فرأى انه لم يبقى أمامه سوى احد الحلين إما الجلاء و إما السلام[1] .

أمام هذه الضرورة الفظيعة كتب إلى الأمير عبد القادر طالبا منه المقابلة، غير أن الأمير الذي رأى أن خصمه قد اتخذ موقف الضعف فضل اللامبالاة ، فقد ترك الرسالة بدون جواب.

وفي رسالته الثالثة يستعمل ديميشال لهجة يمزج فيها التهديد والترغيب في الفوائد التي تترتب على عقد معاهدة رسمية تحقن الدماء بين الشعبين .

و إزاء رغبة ديميشال الصريحة في عقد معاهدة، اعتمد الأمير خطة تقوم على التواني ريثما يصبح هو في مركز يسمح له بفرض شروط ملائمة له و كذلك وقف موقف الحزم من الأسرى الفرنسيين، الذين أدرك الآن قيمتهم حيث أصبحوا " طعم" المفاوضات و رفض إعادتهم قائلا أن : " الإفساح عنهم ليس له أهمية لدينا، غير أن الحالة التي نحن بها لا تسمح لنا بأن نردهم بدون فدية ، فإذا رغبتم في الاتفاق ، اقبل تسليم الأسرى إليكم عند المعاهدة بيننا على أن ديننا يمنعنا من طلب الصلح ابتدءا و يسمح لنا بقبوله إذا عرض علينا "[2].

و بعد إلحاح ديميشال على الاتفاق الذي كان في حاجة إليه أكثر من الأمير ، فقد أرسل الأمير ضابطين من جيشه و هما ميلود بن عراش و ولد محمود، و سيجتمعان خارج وهران بمردخاي عمار و سيعلمانه بكل الاقتراحات[3] .

ومن جهة أخرى عقد الجنرال ديميشال اجتماعا مع هيئة أركان حربه و تداول مع كبار ضباطه بشأن الشروط التي يقترح أن تتظمنها المعاهدة المنوي عقدها، و إثر ذلك حرر مذكرة بهذه الشروط و ختم عليها بختمه و لكنه لم يوقع عليها و بعث بها مع مردوخي و بوشناق* [4].

---

[1] - شارل هنري تشرشل : حياة الأمير عبد القادر ، ترجمة و تقديم أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط ص - ص 108 ،109 .

[2] إسماعيل العربي:المقاومة الجزائرية ،المرجع السابق،ص51

[3] -شارل هانري تشرشل:المصدر السابق،ص110

* - بو جناح،ويسمى أيضا بوشناق وخاصة في الكتب الفرنسية،كلفه الجنرال ديميشال بالوساطة مع الأمير وهو ابن لبوشناق شريك بكري الذين يرتبط اسمهما عادة بمسألة الاحتلال وقضية الديون.

[4] -إسماعيل العربي، المرجع السابق،ص52

وقد تمت المقابلة المقترحة بتاريخ 04 فيفري 1834 م ، و قد تلا ذلك مناقشات طويلة حول المقترحات التي تقدم بها ديميشال ثم غادر الممثل ابن عراش الجلسة قائلا انه سيرفع تقريرا عما وقع إلى سيده ثم يعود، و قد اخذ معه مسودة المقترحات .

وفي 25 من نفس الشهر عاد ابن عراش إلى وهران و معه مسودة المقترحات مرفقة و مختومة بخاتم الأمير عبد القادر، و كان هذا الأخير قد أمر بن عراش أن لا يسلم الوثيقة الأولى حتى يوقع و يختم ديميشال على الوثيقة الثانية ، و قد رأى الأمير عبد القادر أن تبادل هاتين الوثيقتين يشكل المعاهدة[1].

و في 26 فيفري اقترح ديميشال على ابن عراش وضع معاهدة مختلطة تحتوي على أهم ما ورد في الوثيقتين السابقتين و لكن تنص على الشروط الفرنسية بتفصيل أكثر ولم يعترض ابن عراش على ذلك [2].

الواقع أن معاهدة ديميشال أفادت كلا الطرفين ، فبالنسبة للأمير انه استفاد من هذه المعاهدة التي وقعها مع ملك فرنسا و التي شكلت اعترافا صريحا لدولته واعتراف السلطان المغربي عبد الرحمان بن هشام به كقائد و بدولته الوطنية الجزائرية مؤكدا ذلك [3].

وكذلك فان الأمير بحاجة إلى هدنة حقيقية من اجل تركيز الجهود على عمليات التجنيد و التدريب و توفير الأسلحة و الذخيرة و العتاد الحربي و كذلك المدربين الأكفاء .

أما بالنسبة للجنرال ديميشال فإن أهم مزايا المعاهدة من جهته هو فك الحصار الاقتصادي المضروب على وهران و ارزيو و مستغانم الذي لم تتمكن القوات الفرنسية من فكه رغم المحاولات المتكررة ، كما فيها إظهار من طرف ديميشال لحكومته لمقدرته الدبلوماسية[4].

والمميز في هذه المعاهدة أنها لم تعرف جلسات للتفاوض حيث تقدم كل طرف بوثيقة مكتوبة تضمنت الشروط و جمعت بعدها في وثيقة واحدة ، هذا ما أدى إلى حدوث تضارب

---

[1] - شارل هنري تشرشل : المصدر السابق ، ص 110 .
[2] - إسماعيل العربي: المرجع السبق،ص 52 .
[3] - رابح لو نيسي وآخرون: تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989)،ج1 ، دار المعرفة ، الجزائر ،ص131 .
[4] - محمد العربي الزبيري:الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر ،المرجع السابق، ص40 .

في بنود هذه المعاهدة لأن نص المعاهدة التي وقعت في 26 فبراير يختلف عن نصوص الوثيقتين اللتين تم تبادلهما بين الطرفين خصوصا مع الوثيقة التي وقعها ديميشال، حيث أدى هذا اللبس و الاختلاف بالسلطة الفرنسية إلى الإعتقاد بوجود معاهدتين، مما دفعها فيما بعد إلى عزل ديميشال و رفض المعاهدة و الدخول من جديد في حرب ضد الأمير[1].

عينت السلطة الفرنسية " دورلون " حاكما عاما على الجزائر خلفا لـ " ديميشال" فقرر الحاكم العام الجديد نقض المعاهدة ، و جاءت الظروف مواتية له عندما انهزم عبد القادر أمام مصطفى ولد إسماعيل ، فألغى الطرف الفرنسي المعاهدة و التقى عبد القادر مع الجنرال " تريزل "* في معركة على نهر المقطع قرب الساحل ، كان فيها النصر للأمير مما اضطر الفرنسيين إلى توقيع معاهدة المقطع سنة 1835 م[2].

5 - نقض معاهدة ديمشال واستئناف التوسع الاستعماري:

تعتبر معاهدة ديمشال أول انتصار دبلوماسي للأمير حيث أنها نصت على سيادة الأمير ومكانته الدولية وأعطته وقتا لتنظيم إمارته [3] ، لكنه سرعان ما فقد سندا متينا لسياسته باستدعاء الجنرال ديمشال إلى باريس1835 وتعيين الجنرال تريزل مكانه واثر ذلك ابلغ الوالي العام "دورلون" الأمير أن الشروط الجزائرية الموقعة على انفراد لم تعرض على الحكومة الفرنسية للموافقة عليها وبالتالي فان فرنسا لا تقبل الشروط التي تنص عليها [4] .

فهذا الجنرال الفرنسي قد اخذ على عاتقه توقيع معاهدة سرية تعطي حقوقا ثابتة وخاصة إلى عدو ما تزال عداوته مسلحة وصداقته محل شك ، وقد كان تقرير دورلون إلى الحكومة الفرنسية عن هذا التصرف غير العادي قوي المفعول حيث أستدعي ديمشال مباشرة إلى وهران ثم إلى باريس .

ومن الواضح أن هذا شكل صدمة للأمير الذي كانت معاملاته مع ديمشال تقوم على مراعاة قواعد الشرف.

---

[1] - أحميدة عميراوي:موضوعات من تاريخ الجزائر السياسي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع،عين مليلة،2004،ص92 .

* تريزل (1780- 1860) : جنرال فرنسي عين خلفاً لديميشال كان من أبرز الحاقدين على الأمير و المتحمسين للقضاء على مقاومته.

[2] - محمود شاكر :التاريخ الإسلامي(التاريخ المعاصر)بلاد المغرب،ج14،المكتب الإسلامي ، بيروت ، 1991 ، ص215.

[3] -صالح فركوس:محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر (1830-1925)،المرجع السابق ،ص27.

[4] -إسماعيل العربي :المقاومة الجزائرية، المرجع السابق،ص65.

وبعد إلغاء معاهدة ديمشال استأنفت قبائل الدوائر والزمالة المبادلات الودية مع الفرنسيين فهدد الأمير أن يعيدهم بالقوة إلى تلمسان ، ولكن تلك القبائل فضلت الحماية الفرنسية في الحال على التخلي عن منتجاتها الزراعية وتجارتها وقد لبى الجنرال تريزل طلبهم، وعندما سمع أن جنود الأمير يزعجون تلك القبائل اتخذ إجراءات عنيفة وأرسل فرقة عسكرية إلى مخيماتهم قرب"مسرغين"...

الخلاصة أن تريزل رأى في إلغاء معاهدة ديمشال أفضل الحلول لأنه كان شديد الحقد على الأمير ويرى في دولته أنها نمت على أكتاف الفرنسيين .

6- معركة غابة مولاي إسماعيل 26 جوان 1835:

بدأ النزاع فعلا، فمنذ أيام قليلة أغار الجنود الفرنسيون، الذين كان ينقصهم الشعير على مزارع بني هاشم الغرابة وعندما سمع الأمير عبد القادر بهذا الاعتداء على قبيلة عائلته أرسل 2000 فارس و800 راجل بالقرب منهم عند نهر "سيق" وقد قرر تريزل أن يهاجم هذه القوات قبل أن تتطور فكون طابورا من الجند مكونا من 500 ماش وفرقة من قناصة إفريقيا...[1].

مع العلم أن في هذه المعركة ولأول مرة واجه الأمير القوات الاستعمارية بجيش نظامي [2].

ويقول صاحب التحفة في هذا الصدد: "...في حرش مولاي إسماعيل بالقرب من سيك ابتدأ القتال مناوشة واستمر على ذلك متواصلا يومين، وفي اليوم الثالث رجع عسكر الفرنسيين على الأعقاب منهزم إلى داخل الحرش بدون ترتيب ولا نظام، وقتل منهم عدد كثير...".

"أما الجنرال تريزل فإنه لما رأى الطريق التي جاء عليها قد سدت .....انعطف راجعا إلى وهران .....ولما رآه الأمير .....خف في ألف فارس من عسكره، وسبق بهم إلى

[1] -صالح فركوس:محاضرات في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق،ص- ص 29-30.
[2] -أديب حرب:التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري،ج1، المرجع السابق، ص171 .

مجاز نهر هبرة ** " المعروف بالمقطع وأحاطت جيوش المسلمين بالجنرال وعساكره وأضرموا عليهم نار الحرب.....وأذاقوه نكال الحرب ....."[1].

وقد تلت هذه المعركة معركة "المقطع" في السنة نفسها حيث واجه فيها الأمير الجنرال تريزل وسيطر على ساحة القتال ومني بالنصر.

حيث عاد الجنرال إلى وهران مخلفا وراءه أشلاء القتلى والجرحى والأسرى وزاد هذا الانتصار الأمير صيتا إلى صيته، وقد أدت هذه الهزيمة إلى عزل "تريزل" وتعويضه بـ "لامورسيير "* كما أن سياسة "دوروفيرا" الحاكم العام، التي فسرت بالضعف نحو الأمير أدت أيضا إلى عزله وتعويضه بـ "كلوزيل" للمرة ثانية[2].

7- احتلال كلوزيل لمدينة معسكر :

سار كلوزيل بأمر من الحكومة الفرنسية بقوات بلغ عددها 12 ألف مقاتل لاحتلال عاصمة الأمير معسكر، فقرر الأمير مجابهة المحتل فجهز جيشا قوامه ثمانية آلاف فارس وأمر قواته بالهجوم على جيش الفرنسيين قبل ظهر 3 ديسمبر 1835، لكن المدفعية الفرنسية التي استعملت بكثافة اضطرت الأمير للانسحاب وقد كان هذا الانسحاب في صالح الأمير حيث جرها إلى حرب العصابات، ونفذت التغذية من كافة الوحدات الفرنسية رغم دخولها معسكر التي وجدها خراب فاضطر المحتل مغادرتها صباح يوم 9 ديسمبر 1835 ودخلها الأمير من جديد [3].

فكانت من أهم الاشتباكات "معركة الفروق"، "معركة سيدي مبارك"....لكن القوات الفرنسية لم تتمكن من احتلال العاصمة معسكر، وكانت إطلالة 1836 تنذر بتجدد الحملات حيث التقى الطرفان في مواجهة حامية، انسحب بعدها الأمير إلى "وجدة" على الحدود الجزائرية المغربية، وبينما هو هناك وجد نفسه أمام جيش يقوده الأمير، فوقعت اشتباكات

** واد ينبع من جبال الضاية و جبال سعيدة و يلتقي بواد سيق في مصب واحد .

[1] - محمد بن عبد القادر : المصدر السابق، ص- ص237- 238 .

* لامورسيير(1806-1865): جنرال و سياسي فرنسي خلف تريزل.

[2] - صالح فركوس : تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال (المراحل الكبرى)، دار العلوم، الجزائر، 2005 ص 203 .

[3] - صالح فركوس : محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 31 .

بينهما، أهمها: " الأيسر"، "التافنة" و"سبع شيوخ" فانهزم كلوزال وانسحب إلى تلمسان ثم إلى وهران واستدعي إلى فرنسا وعين مكانه "دارلونج"[*][1].

وقعت أثناء قيادة الحاكم الجديد على وهران "دارلونج" معركتا "وادي الاشطم" و"سيدي يعقوب" فكانت سنة 1836 مرحلة اضطراب وخوف من سيطرة الأمير عبد القادر على مقاطعة وهران ومدنها، فتأزم وضع الجنرال "دارلانج" والعقيد "الومرسيه" بالقرب من مصب نهر التافنة والنقيب "كافينياك" في تلمسان، وقوى موقف الأمير لتحكمه عسكريا بالمواقع التي احتلها الفرنسيين [2].

ونظرا للوضع السيئ الذي كانت عليه القوات الاستعمارية ولعدم قدرتها على احتلال مدينة قسنطينة، اضطرت إلى أن تعقد اتفاقية تافنا مع الأمير في 30 ماي 1837 عن طريق جنرالها "بيجو" واستغل الأمير هذه المهادنة لإعادة تنظيم دولته وجيشه[3].

ثالثا : مقاومة الأمير: من معاهدة ديمشال إلى غاية معاهدة تافنة 1837م :

1- معركة المقطع :

تعود خلفيات معركة وادي المقطع بين جيوش الاستعمار الفرنسي وجيش الأمير عبد القادر إلى تدخل بعض الجهات الفرنسية والأوروبية الضاغطة على السلطة الفرنسية في باريس التي لم ترضيها النتائج المترتبة عن معاهدة ديمشال المنعقدة بين الطرفين ملك فرنسا والأمير عبد القادر يوم 21 فبراير 1834 والتي بموجبها اعترفت فرنسا بسيادة دولة الأمير رسميا.

فكانت المعاهدة انتصارا كبيرا للأمير، انضم إليه المترددون وازدادت شعبيته واستفاد من هذه المعاهدة في شراء السلاح وتحديث الجيش النظامي ...الخ ولهذا رأى

---

[*] - دارلونج : حاكم عام جديد على وهران مكان كلوزيل.

[1] - أديب حرب : المرجع السابق ، ج1 ، ص - ص224 - 254 .

[2] - محمد العربي الزبيري : الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص 73 .

[3] - صالح فركوس : المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق م – 962 م)،المرجع السابق، ص 157.

المتحمسين للاستعمار من الفرنسيين خطرا على مصالحهم في الجزائر، خاصة أن أهداف الأمير لن تتوقف عند شروط هذه المعاهدة [1].

أمام هذا الوضع أدركت الإدارة الفرنسية أن الوقت ليس في صالحها وأن الأمير يحمل مشروع متكامل سيقضي على الوجود الاستعماري مع الوقت[2] ، فسارعت السلطات الفرنسية إلى عزل الجنرال ديميشال، وحل محله تريزل وسبب عزله أن ديميشال جاء نتيجة ضغط التجار الفرنسيين الذين تأثرت تجارتهم بما لحقها من أضرار كثيرة لأن ارزيو كانت مركز النشاط التجاري، ووفقا لمعاهدة الصلح فأرزيو أصبحت تحت نفوذ الأمير وهو ما لم يكن ليخدم أهداف فرنسا لاحتلال الجزائـــر [3] .

ومنذ وصول الجنرال تريزل حاكما على وهران شرع في إفساد المعاهدة فقام هذا الأخير بالتحرش بالأمير وفرض هيمنته على بعض القبائل[4]، التي فضلت الحماية الفرنسية في الحال على التخلي عن منتجاتها والتجريد من تجارة مربحة وقد لبى تريزل طلبهم كما ذكرنا سابقا أما الأمير فاكتفى بالكتابة إلى تريزل محتجا بصرامة على هذا الإجراء الذي يتنافى مع بنود معاهدة ديميشال التي بمقتضاها يلتزم الفرنسيون بعدم إعطاء حق اللجوء إلى القبائل لكن تريزل أجابه بأنه على استعداد لاحترام المعاهدة غير أنها لا يمكن أن تعني كل القبائل التي فضلت الحكم الفرنسي على حكمه [5].

في هذا الوقت قام أبو حمار* وجمع إليه الأعراش التي على خلاف مع الأمير منهم أولاد نايل وزحف على المدية لكن الأمير تصدى لهذا الهجوم وانتصر على أبي حمار فاغتنم تريزل هذه الفرصة و حمل الأمير مسؤولية خرق المعاهدة باحتلاله المدية وكعادة فرنسا عمدت إلى نقض الهدنة فتجدد القتال [6].

---

[1] - رابح لونيسي و بشير بلاح و آخرون : المرجع السابق، ص 132.
[2] - صالح عوض : معركة الإسلام و الصليبية في الجزائر 1830- 1962، دراسة تحليلية ، ج1 ، ط2 ، مطبعة دحلب الجزائر ، ص 117 .
[3] - أحميدة عميراوي : دراسات في تاريخ الجزائر الحديث ، الجزائر 1998،المرجع السابق، ص 129 .
[4] - صالح عوض : المرجع السابق ، ص 117 .
[5] - شارل هنري تشرشل : المصدر السابق ، ص 132 .
* - اسمه الحاج موسى المعروف بابي حمار لإدمانه على ركوب الحمار ينتمي إلى الطريقة الشذلية .
[6] - أحميدة عميراوي : دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق ، ص 129 .

خرج تريزل من وهران في اتجاه معسكر على رأس قوة تتكون من 5000 رجل، ولما ابلغ الأمير الخبر نهض من معسكر على رأس قوة تتكون من ألفي فارس وألف من المشاة ونزل في غابة "مولاي إسماعيل " وبقي الأمير يراقب من هذا الموقع حركة الجيش الفرنسي[1].

فكانت معركة وادي المقطع التي سجل فيها الأمير انتصارا على العدو .

واستشهد في هذه المعركة أربعمائة [2]، وعلى اثر الهزيمة التي مني بها الجنرال تريزل على يد جيش الأمير بقيادة المزاري في جوان 1835 [3] .

تم عزله وتعويضه بالامورسيير، كما ان سياسة دورلون الحاكم العام التي تسرت بالضعف نحو الأمير أدت أيضا إلى عزله وتعويضه بكلوزيل للمرة الثانية [4].

وقد عبر الجنرال تريزل عن هزيمته الثقيلة في معركة المقطع أمام جيش الأمير عبد القادر وذلك من خلال رسالة أرسلها إلى الوالي العام دورلون جاء في مضمونها انه على استعداد لتقبل اللوم وثقل المسؤولية التي أوكلت إليه " لقد أضعت هذه المعركة المهلكة وأضعت آمالا كانت تبدو لي معقولة .....وأنا على استعداد لتقبل اللوم ....."[5].

2- معركة تافنة :

بعد وصول كلوزيل للحكم، نظم سنة 1835 حملة على مدينة معسكر عاصمة دولة الأمير فبذل الأمير قصارى جهده لجلب أكبر عدد ممكن من مقاتلي القبائل لمساعدته .

واستطاع الأمير أن يجمع في وقت قصير جيشا كبيرا كما ذكرنا سابقا، وبعد معارك واشتباكات ثانوية في هذه الفترة بين الطرفين، منها معركة الفروق ومعركة سيدي مبارك حيث فشلت القوات الفرنسية الاستعمارية من احتلال عاصمة الأمير- معسكر- بعدها توجه كلوزيل نحو تلمسان 1836 [6]، خاصة وأن كلوزيل قد انظم إليه العديد من القبائل التي

---

[1] - إسماعيل العربي : المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص 87 .

[2] - الحاج مصطفى بن التهامي : سيرة الأمير عبد القادر و جهاده ، تحقيق يحي بوعزيز، ط2، دار الغرب الإسلامي بيروت، 2005، ص 108.

[3] - عدة بن داهة: معسكر عبر التاريخ ، ط1 ، دار الخلدونية ، الجزائر ، 2005 ، ص 58 .

[4] - صالح فركوس :المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين ، المرجع السابق ، ص157 .

[5] - إسماعيل العربي : المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، المرجع السابق ، ص 99 .

[6] - أديب حرب: المرجع السابق ، ص- ص 224- 244 .

أظهرت الميل للحكم الفرنسي مثل" بنو أنجاد" وخرج كلوزيل على رأس جيشه المكون من 8000 جندي يتقدمون نحو المدينة، وانسحب عبد القادر مع كامل سكانها - تلمسان- بدون إزعاج إلى مدينة وجدة على الحدود المغربية و دخل كلوزيل تلمسان في 13 جانفي 1836[1].

وهدف كلوزيل من هذه الحملة إنشاء اتصال مباشر بين تلمسان وبين الساحل، فوجد أن منطقة التافنة أقرب منطقة صالحة لهذا الغرض [2].

وبينما هو يحاول أن يحقق هدفه وجد نفسه فجأة وجها لوجه أمام جيش الأمير عبد القادر في 23 جانفي 1836، اقتتلا الطرفين ودامت المعركة عشرة أيام متواصلة إنهزم فيها كلوزيل ورجع مع جيشه إلى وهران .

وفي أفريل من نفس العام استدعي المارشال كلوزيل إلى فرنسا تاركا وراءه الجنرال دارلونج [3]، الذي كلفه بالمهمة التي عجز هو عن القيام بها وهي فتح طريق للمواصلات ببناء معسكر عند مصب نهر تافنـــا.

تمكن الجنرال دارلونج من الوصول إلى تافنة في 16 أفريل 1836 مع ثلاثة آلاف من المشاة و ثمانية قطع من المدفعية، بينما كانت قوات الأمير يتراوح عددها بين سبعة وثمانية الاف مقاتل.

و قبل أن يبدأ الجنرال الفرنسي في بناء التحصينات التي جاء من اجلها، حاصرته قوات الأمير من كل الجهات، و اضطروا هم إلى أن يعودوا[4] .

بعدها اتجه الجنرال دارلونج إلى الغرب فعبر نهر تافنا* ليلة 24 – 25 أفريل ووصل إلى سيدي يعقوب الواقعة على بعد عشرة كيلومترات من تافنا، فباغته جيش الأمير الذي كانت قواته تعسكر على ضفة نهر يسر**، ودارت بينهما معركة عرفت باسم معركة سيدي

---

[1] - شارل هنري تشرشل ، المصدر السابق ، ص– ص 143 – 145 .
[2] - أديب حرب: المرجع السابق، ص 244.
[3] - شارل هنري تشرشل ، المصدر السابق ، ص– ص 143 – 145 .
[4] - إسماعيل العربي: المقاومة الجزائرية .....، المرجع السابق، ص – ص 132 – 133.
* - واد التافنا: واد كبير ينحدر من جبال تلمسان و يصب في البحر الأبيض المتوسط على شواطئ بني صاف، أطلق اسمه على المعاهدة التي ابرمها الأمير عبد القادر مع بيجو1837.
** - نهر يسر : احد روافد نهر التافنة، يتلقى مياهه من جبال تلمسان و يصب في التافنة بعدما يلتقي على اليسار نهر سكاك

يعقوب و بينما كانت قوات الأمير تحاصر جيش دارلونج، شنت قوات أخرى من جيشه هجوما على الجزء الأخر الذي تركه دارلونج في معسكر تافنا تحت قيادة الكلونيل لوميرسي.

تأزم وضع الجنرال والكولونيل بالقرب من نهر تافنا، فكانت سنة 1836 مرحلة إضطراب وخوف من سيطرة الأمير عبد القادر على مقاطعة وهران ومدنها كما قوي موقف الأمير لتحكمه عسكريا بالمواقع التي تحتلها وحدات هؤلاء الضباط القادة [1].

وبهذا قد حقق الأمير انتصارا عظيما فانضمت إليه أعراش وقبائل زادت في قوته ورفعت معنوياته .

3- معاهدة التافـــــــنة 30 مـــــــــاي 1837 :

أمام تعاظم قوة الأمير وانتصاراته على الفرنسيين و خوفا من القضاء على القوات الفرنسية أسرعت الحكومة الفرنسية في إرسال " بيجو "* إلى الجزائر الذي اتجه فور وصوله إلى تلمسان على رأس نجدات عسكرية قدرت بحوالي 3000 عسكري اتجه بها يوم 01 جويلية 1836 إلى معسكر وتمكن بيجو من تحقيق انتصارات على الأمير إذ افتك منه عاصمته وحاصر تلمسان[2]، واستطاع أن يفك الحصار عن المعسكر الفرنسي الذي فرضه الأمير في وادي التافنة و كذلك الحصار عن مدينة تلمسان[3].

لقد أثر إحتلال مدينة معسكر في نفسية الأمير تأثيرا كبيرا كما تأثر بتخاذل بعض العناصر من ناحية ، وتهافت البعض على السلب والنهب إلى درجة أن صارح رجاله وطالبهم بإعفائه من القيادة ،إلا أنهم عارضوا و ألحوا عليه و إلتمسوا منه العدول عن هذا الطلب ، فعاد من جديد إلى التنظيم وإلى مهاجمة الجيش الفرنسي وإلى محاصرة المدن التي يقيم فيها هذا الجيش ، و شارك في معارك " وادي السكاك " وأبدى فيها أيضا من البسالة ما

---

1 - أديب حرب : المرجع السابق ، ص – ص 269 – 285 .

* - بيجو: هو طوماس روبير بيجو المعروف بالدوق دي زلي ، ولد في أكتوبر 1784 تولى الحكم في الجزائر من 1840 حتى 1847.

2 - أحميدة عميراوي : دراسات في تاريخ الجزائر الحديث ، المرجع السابق8،ص 130 .

3 - صالح عوض : معركة الإسلام و الصليبية في الجزائر من 1830-1962، ص 120 .

اضطر الجنرال بيجو لان يوجه رسالة له[1] ، في تاريخ 12 مارس 1837 جاء فيها : " استطيع أن اعرض عليك السلام بصراحة نبيلة لأنني أحس في نفسي بقوة تامة ....." و يختم بيجو قوله : " إذا كنت تنصت إلى صوت الإنسانية و الحكمة فابعث إلي برجال تثق بهم ليحملوا إلي مقترحاتك لكي أحولها إلى ملك فرنسا ".

و قد رد الأمير على هذه الرسالة برسالة حملها إليه مندوبه " ابن دران " قال فيها : " إنني أشد الناس رغبة في الحصول على العافية وأشدهم بغضا لسفك الدماء بدون موجب ....."[2] و قال أيضا في مذكراته : " و طلب المارشال بيجو لما جاء إلي الصلح منا الملاقاة فلقيه السيد و تحدثا هنيهة في أمور تتعلق بشان الهدنة "[3].

و في 21 أفريل أعلن بيجو لوزير الحربية انه سيبعث بشروط الصلح مكتوبة للأمير والتي أكد بيجو فيها انه يستطيع الحصول على اعتراف الأمير بسيادة فرنسا ويحصر مملكته في ولاية وهران وقد كان مح النزاع في الشروط الفرنسية وهي السيادة على ولاية "تيطري" التي أصر الأمير على الاحتفاظ بها[4].

و هكذا كان من الطبيعي أن يكتب الأمير إلى الجنرال "دامريمون " الوالي العام ويسعى للتفاوض معه مباشرة ، فقبل أن يدخل في صلب المفاوضات ولكن الأمير لم يكتفي بدعم نفوذه على المناطق المتنازع عليها ، بل كسب مناطق جديدة في شرق المدية و شرشال و قد زاد من تعزيز مركز الأمير في هذه المفاوضات الدقيقة لأنه تلقى من " دامريمون " رسالة يرد فيها على رسالته يؤكد له إمكانية الوصول إلى تسوية بين الطرفين عن طريق المفاوضات.

و في نفس اليوم كتب ""بيجو " إلى " دامريمون " رسالة شديدة اللهجة يتذمر فيها من الاتصالات التي جرت بينه وبين الأمير يعلن إليه فيها أن مساعيه تعتبر تدخلا فيما لا يعنيه.

---

[1] - محمد الطيب العلوي:مظاهر المقاومة الجزائرية (1830- 1954)، طبعة خاصة ، وزارة المجاهدين، ص- ص 54 55

[2] - إسماعيل العربي: المرجع السابق ، ص 142 .

[3] - الأمير عبد القادر الجزائري : مذكرات الأمير عبد القادر،سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849،تحقيق محمد الصغير بناني وآخرون،ط2 ، دار الأمة للطباعة، الجزائر، 1995، ص 124 .

[4] - إسماعيل العربي : المرجع السابق ، ص 143 .

وأثر ذلك اتفق الطرفان على عدم إستئناف القتال قبل أن تنتهي المفاوضات الجارية بطريقة ايجابية أو سلبية وكذلك إستمرت الاتصالات بين الفريقين خلال الفترة التي تمتد بين

26 30 ماي عن طريق حمادي السقال الذي يقوم الآن بدور ابن دران بشأن وضع الصيغة النهائية لمواد المعاهدة و على الرغم من أن المناقشات التي سادة هذه الاتصالات كانت في بعض الحالات ، فان الرغبة التي كانت تحدو الطرفين ومصلحتها في استتباب السلم قد تغلبت في نهاية الأمر على الخلافات.وبذلك تم توقيع المعاهدة التي تحمل اسم النهر الذي هزم عند مصبه الجيش الفرنسي "تافنا " منذ سنة و ذلك في 30 ماي 1837 [1].

والتي يبدو انه من أهم ما تحققه للأمير هو توسيع رقعة الإمارة ، حيث لم تترك هذه المعاهدة لفرنسا سوى الساحل (متيجة و البليدة) أي لقد اعترفت فرنسا للأمير بالسيادة على ثلث الجزائر[2] وكذلك وفي المكان الأول من الأهمية كسب الأمير فترة من السلام والهدوء وهو في اشد الحاجة إليها لتدعيم مركزه السياسي في الداخل ، حيث تفرغ على إثرها لتنظيم الداخل ، بان جدد حروبه ضد القبائل والأعراش التي انشقت عن صفه[3] .

وبالنسبة للحكومة الفرنسية فإنها قد أدركت انه من مصلحتها مهادنة الأمير بقصد تخفيف شدة الحصار الجزائري على المراكز الفرنسية والتفرغ للقضاء على مقاومة احمد باي في الإقليم الشرقي وإعداد فرق خاصة بحرب الجبال[4] .

و لكن هذه المعاهدة لم تعمر طويلا ، بل تم نقضها بداية من أكتوبر 1839 م [5].

---

[1] - إسماعيل العربي : المرجع السابق ، ص- ص 143- 147.
[2] - صالح عوض : المرجع السابق، ص 120 .
[3] - أحميدة عميراوي : دراسات في تاريخ الجزائر الحديث ، المرجع السابق، ص 131.
[4] - عمار بوحوش : التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962 ، دار البصائر الجزائر ، ص 113 .
[5] - أحميدة عميراوي : موضوعات من تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص 102 .

الفصل الثاني

مقاومة الأمير عبد القادر المرحلة الثانية (1837-1847م)

أولا : دولة الأمير عبد القادر

1- حكومة الأميـــر

2- القضـــاء

3- التقسيم الإداري لدولة الأمير

4 – التنظيم الاقتصادي

5 - التنظيم العسكري

ثانيا: استئناف المقاومة (1839 -1847)

- نقض معاهدة تافنة

ثالثا : طلـــب الأمـــان

رابعا : نهاية الأمير

أولا : دولة الأمير عبد القادر :

بمبايعة الأمير عبد القادر من طرف أعيان و علماء اغريس بيعة خاصة تلتها بيعة عامة من طرف باقي القبائل المجاورة يكون قد تحمل مسؤولية كبيرة على الصعيدين الداخلي و الخارجي .

و مجال اهتمامنا في هذا العنصر هو المستوى الداخلي المتضمن الإصلاح و السعي إلى تأسيس دولة على الطراز الحديث حتى تستطيع مواجهة المستعمر الفرنسي.

1 - حكومة الأميـــر :

باشر بداية بتعيين رجال الدولة ممن تتوفر فيهم الكفاءة و الأهلية، يقول محمد بن عبد القادر في التحفة : " لم تمت بيعة الأمير و استقام له الأمر اتخذ الآلة و رتب الحاشية و عين رجال الدولة فاستوزر محمد بن العربي و استكتب ابن عمه السيد احمد بن علي ابن أبي طالب و السيد الحاج مصطفي بن التهامي و السيد الحاج احمد الخروبي و عين لحجابته محمد بن علي الرحاوي ،و ولى الحاج الجيلاني بن فريحة ناظر خزينة المملكة و محمد بن فاخة ناظر الخزينة العامة و الحاج الطاهر أبو زيد ناظرا على الأوقاف ، و السيد الحاج الجيلاني العلوي مأمورا على الأعشار و الزكاة بأنواعها ، و عين لنظارة الأمور الخارجية الحاج الميلود بن عراش، ونظم الحاشية و أقام كل فرد منها في مقام يخصه و رسم له أثرا بقسه .." [1].

و مما سبق ذكره فان حرص الأمير عبد القادر رغم تمتعه بسلطات مطلقة و استثنائية على إبعاد الطابع الفردي لسلطته وأشرك ممثلين من العلماء و شيوخ القبائل في حكومته بمعسكر و اختار الأمير أعضاء حكومته من خلفائه و تمتعت عناصرها بالشخصية القوية والسمعة الطيبة و اقتدوا برئيسهم و ساروا على نهجه في العمل ، وفيما يتعلق بتشكيل النظارة و الوزارة و توزيع المناصب فعد على النحو التالي[2] :

---

[1] - محمد بن عبد القادر،المصدر السابق ، ص 109.

[2] - اديب حرب : التاريخ العسكري و الإداري للأمير عبد القادر الجزائري (1808-1847) ،ج2، ص – ص 41 – 42 .

أ – وزارة الداخلية :

و أسندها إلى السيد محمد بن السعيد العربي، يساعده كاتبان : احمد بن علي ابن أبي طالب والحاج مصطفى الهاشمي .

ب – وزارة الخارجية :

و أسندها إلى السيد أبي محمد الحاج المولود بن عراش .

ج – وزارة المالية :

و أسندها إلى السيد أبي عبد الله الحاج الجيلالي بن فريحة .

د – وزارة الأوقاف :

و أسندها إلى السيد أبي عبد الرحمن الحاج الطاهر أبو زيد .

ه – وزارات الأعشار و صنوف الزكاة :

وأسندها إلى السيد أبي محمد الجيلالي بن الهادية .

و – وزارة الحربية :

و أسندها إلى السيد محمد بن الجيلاني (احد أقاربه) ، و مهمة هذه الوزارة هي ضرب السكة و صنع الأسلحة و الذخيرة .

ز – وزارة الخزينة الخاصة :

و أسندها إلى السيد أبو سعيد ابن فاخر [1].

و هناك مراكز إدارية مهمة ، أضيفت للنظارة و أنشأت لتسيير الأمور الخاصة أهمها :

أ – كتابة الديوان الأميري:

أسندت إلى ابن عمه احمد بن علي بن أبي طالب و السيد مصطفى بن احمد التهامي ثم نقل الاثنان لقيادة مقاطعتين عسكريتين ، الأولى قليتة و الثاني إلى معسكر و قد خلفهما لهذا المنصب محمد بن خزومي ثم محمد بن عبد الرحمان الموسلي وأخيرا مصطفى بن العوني .

[1] - يحي بوعزيز : الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري ، الدار العربية للكتاب ، الشركة الوطنية للنشر ، تونس ، 1983 ، ص– ص 83، 84

ب – الملبوس الأميري :

أسندت إلى السيد الحاج البخاري الرحاوي.

ج – الفراشة :

أسندت إلى السيد عبد القادر بن أبي معزة .

د – السقاية :

أسندت إلى السيد البداري بن شفعية .

و – رئاسة الموسيقى :

أسندت إلى السيد أبو مدين بن أبي طفس .

ز – رئاسة الإسطبل :

أسندت إلى السيد محي الدين بن عبد الله [1].

تجدر الإشارة إلى أن هذا التنظيم الحكومي كان أول تجديد يأتي به الأمير عبد القادر، فهو عبارة عن خلاصة تجربته الميدانية القصيرة لوضع البلاد، والمحنة التي تمر بها من جهة سائر الأنظمة الحكومية التي عرفتها من جهة أخرى خلال رحلته إلى المشرق [2].

كما انشأ مجلس للشورى مكونا من إحدى عشرة مستشار مؤهل من خيرة القوم، يقول صاحب التحفة: "ورتب مجلسا للشورى يشمل على إحدى عشرة عضوا من أجلة العلماء وجعل رئاسته للعلامة قاضي سيد احمد بن الهاشمي المراحي" [3].

هذا الأخير كان رئيسا للمجلس الشورى كما كان قاضي القضاة وهنا يتضح لنا تداخل سلطتين معا في حكومته.

2- القضـــــاء :

كان القضاء من أولويات النظم التي اهتم الأمير بإنشائها وتنظيمها، حيث يقول في مذكراته " أول شيء ابتدأ به النظر في أمر القضاة وأخبار العدل لها في كل موطن"[4] .

---

[1] - أديب حرب : المرجع السابق ،ج2 ، ص 43 .
[2] - محمد العربي الزبيري : الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر ، ص 31 .
[3] - محمد بن عبد القادر : المصدر السابق ، ص 166 .
[4] - مذكرات الأمير عبد القادر : سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849 ، المصدر السابق ، ص 149 .

كما سبق ذكره فان قاضي القضاة كان هو رئيس مجلس الشورى الأعلى في دولته ويأخذ الأمير بمشاورة هذا المجلس في الكثير من المسائل الهامة بالإضافة إلى القضاء ويأخذ مشورته في بعض الموضوعات ذات الصفة المالية، كفرض الضرائب الإضافية في الظروف الحربية التي تميزت بها دولة الأمير، كما يجتمع للنظر في أمور الهدنة و الحرب من ذلك الاجتماع قرب مليانة لرفض الموافقة على تعديل معاهدة " تافنا " حسب الاتفاق الجديد اتفاق بن عراش 04 جويلية 1836 [1].

أما القضاة الآخرون فمراتبهم قضاة الجند ، القضاة المدنيين ، كان القضاة المدنيون منبثين في مختلف المقاطعات، كل قاض يفصل في المسائل الشرعية على مذهب الإمام مالك و اشترط الأمير في القاضي أن يكون عالما نزيها متحريا للحق ، و جعل لكل قاضي كاتبين أكبرهما يقوم بدور المفتي ، حيث يتولى مطالعة الفتاوى و دراستها بمقتضى المذهب المالكي ثم يقدمها إلى القاضي ليحكم بها إذا كان موضوعها يتعلق بمسألة من المسائل الصغيرة ، أم المسائل الكبيرة فكانت تحال على المجلس الكبير بمعسكر [2] .

و مما سبق سيكون القضاء في دولة الأمير على النحو التالي :

أ- القضاء العادي :

في كل عمالة يعين فيها الأمير عالم يفصل في القضايا الشرعية و ربط إدارة هؤلاء القضاة بمراجعة قاضي القضاة السيد : احمد بن الهاشمي المراحي - الذي ذكرناه سالفا - وعين كل قاضي كاتبين مساعدين أكبرهما بمثابة المفتي و الثاني خاص بتنفيذ الأحكام والمجالات التي كانت من اختصاصاته في أمور الزواج ، الوصايا ، المبايعات ، الإرث والرشوة ، فكان يهتم كثيرا بالمصالح الشخصية فكانت مهام القاضي تتمثل في العدل و توثيق العقود و الوصايا و في بعض الأحيان تشمل السرقة و الاغتيالات [3].

---

[1] - اوصديق فوزي : دستور دولة الأمير عبد القادر ، المحاضرة 2 ،أشغال الملتقى الوطني تاقدمت عاصمة الجزائر في عهد الأمير عبد القادر مؤسس الدولة الحديثة ، جمعية تيارت مارس 1996 ، ص – ص 81،82 .

[2]- رابح بونار : نظام الحكم في إمارة الأمير عبد القادر ، مجلة الاصالة ، العدد 23 ، مجلة تصدرها وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية ، جانفي ، فيفري ، الجزائر 1975 ، ص 46 .

[3] - اوصديق فوزي : المرجع السابق ، ص 91 .

والقاضي في حكومة الأمير يتلقى مرتبا شهريا قدره (10 دورو) (50 فرنك) و ذلك بالإضافة إلى رسوم و حقوق يتلقاها عندما يبرم أنواعا معينة من العقود و الأحكام التي يصدرها في الحال[1] .

إن المخالفات الخطيرة لمبادئ الشريعة ترفع إلى مجلس العلماء ، و في إمكان كل مسلم رفع شكاية إلى مجلس الأمير عبد القادر نفسه ، إذا لحقه ضرر من الموظفين أو الحكام ووسيلة لاستئناف الحكم يسمحان بمراقبة حسن تسيير الدولة .

و من الممكن أيضا أن تعرض القضايا الصعبة على المجالس الإسلامية العليا[2].

ب - القضاء السياسي :

نقصد بهذه التسمية الجرائم السياسية و هي من اختصاص ممثلي الحكومة سواء : " اغا " أو" قايد " أو " خليفة " ، و في بعض الأحيان تكون من اختصاص الأمير عبد القادر نفسه و من أهم الجرائم التي تندرج في هذا الإطار هي كالأتي : التجسس ، التعاون مع الفرنسيين رفض الوحدة ، التمرد ، اختلاس الموظف الحكومي ، شكايات المواطنين ضد القبيلة أو الأغا المساس بالأمن العام ، السرقة عن طريق الكسر ، فهكذا اقر المسؤولية على أساس واسع بل هو الوحيد الذي شدد الرقابة على الموظفين في مختلف المستويات و بالتالي كانت تجربة رائدة و فريدة في نفس الوقت على مستوى الوطن العربي آنذاك[3].

ج- القضاء العسكري :

كان يشرف على القضاء العسكري بن عبد مصطفى المشرفي في معسكر وعين في كل كتيبة قاض يساعده على مسؤوليات في إصدار الأحكام و تنفيذها ، إحداهما أمر مخفر الشرطة العسكرية ، فقد كان تنظيم العدالة شغل الحكومة الدائم وإن القران الكريم المرجع الوحيد للقضاة المدنيين و العسكريين ينتخبون سنة واحدة قابلة للتجديد .

---

[1] - المرجع نفسه ، ص 88 .
[2] - اندري برنيان و آخرون : الجزائريين بين الماضي و الحاضر ، المصدر السابق ، ص 261.
[3] - وصديق فوزي : دستور دولة الأمير عبد القادر ، المرجع السبق ، ص 92 .

و تنحصر مهامه بالقضايا المتعلقة بالأمور الشخصية و كان يطعن بأحكامهم أمام مجلس الشورى بمعسكر الذي يفصل أيضا في المسائل التي تمس المجتمع[1] .

كما اصدر قانونا ينظم هذه الوظيفة و هذا القانون يحتوي على 24 مادة ، كانت العقوبة الصادرة تتراوح من السجن إلى الإعدام (في حالة الخيانة العظمى أو الهروب من الجيش أثناء الحروب [2]).

3- التقسيم الإداري لدولة الأمير :

أما عن تقسيمه للبلاد فقد شرع الأمير في إقامة دعائم حكمه ، ففسم دولته إلى عدة مقاطعات :

أ - مقاطعة تلمسان :

التي ولى عليها خليفته السيد محمد بو حميدي الولهاصي ولما توفي عين على رأس إدارة هذه الولاية الحاج مصطفى بن احمد التهامي [3].

ب - مقاطعة معسكر :

خليفتها (محمد بن فريحة الماجي)[4] و بعد مقتله ولى عليها السيد الحاج مصطفى بن احمد التهامي الذي هو في نفس الوقت رئيس ديوان الإنشاء[5] .

ج - مقاطعة مليانة :

و على رأسها الخليفة محي الدين بن علال ، و بعد وفاته خلفه محمد بن علال و مركزها الإداري مدينة مليانة .

د- مقاطعة المدية :

وعلى رأسها في البداية مصطفى بن محي الدين شقيق الأمير ثم خلفه محمد بن موسى البركاني و مقرها مدينة المدية [6].

---

[1] - أديب حرب : المرجع السابق ، ج2 ، ص 46 .
[2] - اوصديق فوزي : المرجع السابق ، ص 92 .
[3] - أديب حرب : المرجع السابق ، ج2 ، ص 45 .
[4] - إسماعيل العربي : المرجع السابق، ص– ص 19 ،20 .
[5] - صالح فركوس : مختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقي الى خروج الفرنسي ، دار العلوم ...ص 156 .
[6] جمال قنان : دراسات في المقاومة و الاستعمار ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ،دط ،دت ، ص 87 .

هـ - مقاطعة بسكرة :

و على رأسها فرحات بن سعيد ثم الحسين بن عزوز .

و - مقاطعة برج حمزة :

و على رأسها احمد بن سالم الدبيسي (البويرة حاليا) .

ر - مقاطعة المنطقة الغربية من الصحراء :

على رأسها قدور بن عبد الباقي [1].

كان الأمير عبد القادر يصدر أوامره للخليفة و كذلك ترفع القضايا الهامة بطريقة عكسية من الشيخ حتى تصل إلى الأمير ، و يتم تنصيب الخليفة و الضابط الإداري في ديوان حيث يسلم شهادة تعيينه و خاتم إدارته [2].

و لم يكن الأمير عبد القادر يكتفي بسلوك عماله الظاهري بل كان يستعلم عن جميع أعمالهم حتى لا يقع منهم جور و لا ظلم مقتديا بفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه و كان لتشدده حجة إقامة العدل و لا يستعمل موظفي الدولة التركية لما اشتهروا به من ظلم وسوء سياسة [3].

و يقول الكولونيل سكوت في هذا الصدد : " الحدود بين كل ولاية و أخرى رسمت بكل ما يمكن من العناية و الدقة ، و طبقا لحجم كل ولاية يعين فيها عدد من الاغاوات (كولونيل) ...والخليفة هو الذي يعين القائد المسؤول على القرية أو القبيلة إداريا ، و لكن هذا التعيين يحتاج إلى تأكيد الأمير له ، أما حكام المدن فان الأمير هو الذي يعينهم بنفسه ، وتتم مراسم تعيينهم بمحضر القاضي، الذي يقسمون أمامه اليمين القانونية قبل أن يخلع عليهم البرنوس التقليدي رمز الحكم " [4].

---

[1] - عمار بوحوش : التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962 ، المرجع السابق ، ص 109 .
[2] - إسماعيل العربي : حكومة الأمير عبد القادر إدارتها و مهامها ، المرجع السابق ، ص 223 .
[3] - رابح بونار : المرجع سابق ، ص 47 .
[4] - الكولونيل سكوت : المصدر السابق ، ص 113 .

4 – التنظيم الاقتصادي :

إعتمدت دولة الأمير عبد القادر في القيام بمهامه العسكرية و مشاريعها الصناعية و في تسيير أجهزتها الإدارية ، على المراحل الجبائية و موارد بيت المال المتعددة [1]، و ذلك حتى يتمكن من مواصلة الكفاح ضد المستعمر و الجهاد في سبيل الله و بعث الروح الوطنية في الشعب و دعم اقتصاد الحرب بزيادة الإنتاج في مجالات الزراعة و الصناعة و التجارة [2] و الجباة يخرجون في السنة مرتين ، مرة في الربيع (لجباية الزكاة) و مرة في الصيف (لجباية الأعشار) و نظارة دار ضرب السكة و الأسلحة و معاملها و ما يتعلق بذلك من أدوات الحرب .

ففي النظام المالي احتاجت دولة الأمير إلى أموال كثيرة لتنظيم مؤسساتها و جيشها و دفع موجباتها و التزاماتها و السبيل الوحيد لسد هذه التكليف هو سك العملة و جباية الواردات [3].

حيث ابتنى الأمير دار لضرب السكة و جعلها ثلاثة أجناس من الفضة و النحاس مستديرة الشكل ، فالجنس الأول مكتوب على احد أوجهها " و من يبتغي غير الإسلام دينا فلن يقبل منه "و على الأخر ضرب تاكدمت و تاريخ الضرب سنة 1225 [4]، بالإضافة إلى الجنس الثاني و الثالث الذين كتب على إحداهما " إن الدين عند الله الإسلام" و الأخر " ربنا افرغ علينا صبرا و ثبت أقدامنا "فاتخذ تاكدمت لهذه الغاية فجعلها بنك الإمارة المركزي وحاول استخراج المواد الأولية الضرورية للسك و استدعى اختصاصيين أجانب لهذه المهمة[5] ، أما عن جباية الواردات فالشعور ضريبة تجمع مالا أو عينا و تؤخذ من المواشي على النحو التالي :

- 01 % من مجموع الغنـــم
- 30 % من مجموع البقـــر

---

[1] - ناصر الدين السعيدوني : النظام الضريبي لدولة الأمير عبد القادر ، ص 123 .
[2] - دهينه عطاء الله : نضال الأمير عبد القادر ضد الاحتلال الفرنسي ، ص 21 .
[3] - محمد بن عبد القادر : المصدر السابق ، ص – ص 307،313 .
[4] - المصدر نفسه ، ص 313 .
[5] - أديب خرب : المرجع السابق ، ج2 ، ص 54 – ص 57

- 40 % من مجموع الجمال

5 - التنظيم العسكري :

كان الأمير عبد القادر يعرف جيدا حجم الهوة الحضرية التي تفصله عن الفرنسيين فسعى إلى تكوين جيش قوي متكافئ مع الجيش الفرنسي ، يقول صاحب التحفة : " لما علم الأمير ما بين الجنود المنتظمة و الحشود المتطوعة من الفرق العظيم ، عزم على تنظيم جند كفء يكون دأبه التمرين والتدريب ، ليصل بقوته و معرفته بالأمور الحربية إلى مقاصده " [1].

كان جيش الأمير المتصدي للفرنسيين رغم الانتصارات التي حققها آنذاك أمام جيش يعد في ذلك الحين من أعظم جيوش العالم ، ينقصه الكثير من التنظيم و التدريب حيث أحس الأمير عبد القادر من خلال اشتباكه بالفرنسيين أن تكوين جيش نظامي بات من الأمور الضرورية التي لا غنى له عنها [2].

تولى الأمير ترتيبه و تنظيمه بنفسه فجعله ثلاث فرق ، فرقة مشاة ، فرقة يركبون الخيل عرفوا بالخيالة و الفرقة الثالثة مدفعيين ، أما العسكر المحمدي فانه قسمه إلى مئات و قسم كل مائة إلى ثلاثة أقسام ، و جعل لكل قسم "خباء *" و رئيسا عليه سماه رئيس الخباء و عين له نائبا يقوم مقامه و سماه خليفة رئيس الخباء ، و جعل لكل ثلاثة أقسام رئيسا سماه "سيافا" و عين لهم كاتبا يخصهم ، و جعل على كل عشرة من السيافين فأكثر رئيسا سماه " أغا " و رئيس العسكر ...[3] .

إن الأمير عبد القادر لم يعد قائد المقاومة الوطنية في الغرب و الوسط فقط بل لقد أصبح عند الجماهير ، الشعب و مثقفي المدن علما على دولة جديدة طالما حلم بها الجزائريون دولة منهم و إليهم [4].

---

[1] - محمد بن عبد القادر : المصدر السابق ، ص 191 .
[2] - محمد العربي الزبيري : الكفاح المسلح في عهد الأمير ، المرجع السابق ، ص 34 .
* - يقصد به خيمة .
[3] - محمد بن عبد القادر : المصدر السابق ، ص 193 .
[4] - أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية (1830- 1900) ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان 1992 ، ص 176 .

ثانيا: استئناف المقاومة (1839 -1847) :

ـ نقض معاهدة تافنة :

كانت نصوص معاهدة تافنة تحتوي في طياتها على جرثومة نزاع خطير بسبب غموض النص الفرنسي فيما يتعلق بتحديد امتداد المنطقة المحتلة شرقا، وقد ظلت هذه المشكلة نظرية طالما كانت ولاية قسنطينة خاضعة لسلطة احمد باي، ولكن سقوط قسنطينة وفرض نظام الاحتلال على قاعدة الولاية الشرقية دّل بوضوح على نيات الفرنسيين في التوغل وبسط سيطرتهم على المدن الداخلية وقد برزت المشكلة عمليا نتيجة لحاجة الجيش الفرنسي إلى تأمين خطوط مواصلاته بين الجزائر وقسنطينة بالطريق التي تمتد في شرقي وادي خضرة وتمر بسوق حمزة(البويرة) ومضيق البيبان وسطيف ، ولما اتضح أن المعاهدة لا تضمن لفرنسا أية حقوق لهذه الغاية، التزمت السلطات الفرنسية موقف التحفظ في الاعتراف بالوضع الذي حددته المعاهدة منذ البداية، ولكنها بعدما احتلت قسنطينة رأت أن تغيير هذا الوضع ضرورة سياسية وعسكرية في الوقت نفسه ومنحتها الأولوية، ولكي تصل إلى هذه الغاية كان عليها أن تسلك أحد السبيلين: فأما أن تحمل الأمير على الدخول في مفاوضات جديدة لتعديل المعاهدة بحيث تستجيب لحاجاتها، أو تعتبر المعاهدة بكل بساطة لاغيه وتتصرف كما لو كانت حرة من جميع القيود[1] .

حيث نجد أن المستعمر الفرنسي بعد قضائه على مقاومة الحاج احمد باي واحتلال قسنطينة سنة 1837م بادر إلى خرق اتفاقية تافنا وذلك بعبور قواته الأراضي التابعة للأمير فأعلن الأمير حربه على فرنسا يوم 19 نوفمبر 1839م[2]، ذلك بعد مناقشات ومداولات طويلة مع مجلسه الشوري، واتفاقهم في النهاية على استئناف القتال[3].

حيث تعتبر سنة 1839م صعبة ومليئة بالمفاجئات بالنسبة للطرفين، ذلك من خلال فشل

---

[1]- إسماعيل العربي: المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص189 .
[2]- صالح فركوس : المختصر في تاريخ الجزائر ،المرجع السابق ، ص 157 .
[3]- محمد العربي الزبيري: الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر ، المرجع السابق، ص139

"فالي*" في إقناع الأمير بتعديل اتفاقية التافنة، ذلك بعد اتصالات غير مجدية لحل الخلافات بين المتنازعين بالطرق السليمة، حيث تعقدت الأمور وأخذت تسيير من السيئ إلى الأسوء وعندما بلغت الأزمة حدا من المماطلة في الوصول إلى قرارا حاسم نهائي حول قضية الحدود، كان الأمير قد فرغ صبره ، فقام بهجوم على معسكرات الفرنسيين في مقاطعتي وهران والجزائر، أهم المعارك التي جرت بين الأمير عبد القادر والجنرال "فالي" معركة " غابة كرازة" ، "العفرون"، معركة " مضيق موزايا"، معركة "غابة الزيتون"[1].

وليس من شك في أن جيش الأمير أصبح أكثر تنظيما وأحسن تدريبا ويملك أسلحة وذخيرة أوفر، وإن حالته المعنوية كانت ارفع مما كانت عليه من قبل، بفضل ما كان يلقاه من العناية في الأكل والملبس والرعاية الطبية، وإن استتباب الأمن الداخلي وتحصيل الزكاة وجباية الضرائب[2].

كما أن الأمير قد اخضع المنطقة الصحراوية في شهر ماي 1838 (بلاد الزاب التي كان زعيمها فرحات بن السعيد الذي لجأ إلى المحتل، ثم دخل صبيحة 12 جانفي 1839 إلى عين ماضي التي كان زعيمها الحاج محمد الصغير التجاني الذي التجأ إلى الأغواط مع عائلته وثروته، بعد ذلك توجه الأمير في 21 جانفي من العام نفسه إلى تاغدمت ومنها إلى عاصمته معسكر[3].

أما عن الجانب الفرنسي استبدل الحاكم العام "فالي" سنة 1840م نتيجة عجزه في مجال القيادة العسكرية بالجنرال "بيجو**"، هذا الأخير الذي ظل يحلم بهذا المنصب ويناور من أجل الحصول عليه[4].

---

* - مارشال فرنسي (1773 - 1840) من مواليد بريست لوشانو ، وهو الذي قاد الحملة على قسنطينة ، 1837 .

[1]- أديب حرب: التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري،ج2، ص – ص 176 ، 253 .

[2]- إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص198.

[3] - صالح فركوس : محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر(1830-1925)، مديرية النشر لجامعة قالمة ،2010، ص 38 .

** - هو توماس روبير بيجو المعروف بالدوق دي زلي ، ولد 1784 تولى الحكم في الجزائر 1840 1847 .

[4]- محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 141 -142 .

بمجيء "بيجو" سنة 1841م اخذ القتال يشتد وبلغ ذروته بين عامي 1843-1845 بسبب إجراءات القائد الفرنسي بيجو، وإجراءات الأمير المضادة [1]، حيث اعتمد الأمير خلال هذه الفترة على سياسة الحرب النظامية وحرب العصابات[2] ضد الفرنسيين بغية السيطر على مناطق شاسعة من البلاد وذلك لضخامة الجيش الفرنسي الذي بلغ عدده سنة 1841 حوالي 78.000 جندي وضابط ، فقرر الجيش تحت قيادة بيجو بان تكون الحرب هذه المرة حرب إبادة وإفناء ضد الثوار على إمتداد المناطق المتواجدين بها، كما أصدر بيجو أوامر إلى قادة الجيش الفرنسي بعدم قبول خضوع القبائل إلا بواسطة زعمائها الذين يعتبر كل واحد منهم مسؤولا عن تصرفات أبناء قبيلته[3].

قال الجنرال بيجو في رسالة بعث بها في 24 نوفمبر 1 تشرين ثان عام 1849م إلى وزير الحربية الفرنسي: " هل نستطيع الجري في كل مكان؟ هل نستطيع أن نصد ضرباته المتلاحقة؟ هل نستطيع تجنيد مليون رجل لمحاربته....." إلى آخر الرسالة.

وجدت وسائل بيجو الأذان الصاغية في باريس، فاستطاعة حكومته أن تكبل السلطان عبد الرحمن باتفاقية "طنجة" وجعلته يبالغ في عدائه للأمير إلى درجة أن بعث بأولاده على رأس جيش نظامي لمحاربة الأمير ووضع كمائن ومصادرة المؤن الذاهبة إلى المجاهدين وتحويلها إلى الفرنسيين [4].

ومهما يكن من شيء فقد وصل بيجو في 23 فيفري 1841 إلى الجزائر حيث وجد تحت تصرفه جيشا كبيرا كما قلنا سابقا وبعد جولة تفتيشية قصيرة، شرع بيجو في تطبيق إستراتيجيته فأمر بتدمير عدد من المراكز العسكرية المحصنة في متيجة، ثم اتجه في 8 مارس إلى ولاية قسنطينة ، حيث أمر بتدمير عدد أخر من النقاط العسكرية التي لم يكن يرى فائدة منها، عين الجنرال " بارجي دو هيلير"، قائدا على ولاية الجزائر وكلفه بالقيام بعمليات ضد المدن الخاضعة للأمير ثم إلى وهران ثم اتجه المدية وملیانة ومن هناك اتجه

1- أديب حرب : المرجع السابق، ج2، ص 339 .
2- محمد الطيب العلوي: مظاهر المقاومة الجزائرية (1830-1954)، المرجع السابق، ص 56 .
3- عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائريين من البداية ولغاية 1962، ص 114 .
4- بديعة الحسني الجزائري: الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين تحقيقة والتحريف، دارا المعرفة ، 2008، ص 37 .

بيجو إلى معسكر وفي هذه الأثناء سقطت الحصون الدفاعية الأخرى التي شيدها الأمير بكثير من التضحيات واحدا بعد واحد .

وتبعا لذلك فعلى الرغم من النجاح الظاهري الذي أسفرت عنه حملة الربيع في تخريب معاقل الأمير وحصونه الدفاعية، فقد ظلت حكومة باريس قلقة حيث كانت ترى أن قوة الأمير قد " تزعزعت" لكنها لم "تدمر"[1].

واكتفى الأمير بإخلاء المدن بعد خزن المؤن وطمر الحبوب بمختلف أنواعها تاركا للغزاة مهمة الهدم والتخريب، اعتقادا منه أن إعادة البناء أمر سهل بعد أن تضع الحرب أوزارها[2].

ثالثا : طلـــــب الأمـــــان :

كانت تدور بين جنرالات بيجو و خلفاء الأمير معارك متقلبة ، استعمل فيها العرب كل قوتهم في التحمل و كل بسالتهم لكن بدون جدوى ، و في النهاية حدثت المأساة باستيلاء المستعمر علـى " الزمالة " [3]، حيث تلقى الأمير عبد القادر خبر سقوط الزمالة بعد مرور ثلاثة أيام من احد الفارين بان دائرته قد أخذها الدوق "دومال " ، و كان الأمير مقيما في الحراش و الغابات فتأثر و تأسف و اعتزل الناس بالصلاة و الدعاء ، فكان موقفا رهيبا حقا بالنسبة إلى كل من كان يجاهد في سبيل الله و الوطن [4].

وقد نتصور الصعوبات التي يعانيها مخيم بهذا الوضع لضمان ابسط وسائل الراحة و مقومات الحياة اليومية الأساسية[5].

و في هذه الأثناء و نظرا للقوة الهائلة التي خصصتها فرنسا لتدمير مقر قيادته و محاصرته في كل منطقة يتوجه إليها .

---

[1] ـ إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص ص 209-211 .
[2] ـ محمد الطيب العلوي، المرجع السابق، ص 57.
[3] ـ كاتب ياسين : مجلة الثقافة، العدد السابق ، ص 207 .
[4] ـ أحميدة عميراوي : من الملتقيات التاريخية الجزائرية ، دار البعث للطباعة و النشر ، الجزائر ، 2001 ، ص ص 75 ، 76 .
[5] ـ إسماعيل العربي : المرجع السابق ، ص 236 .

لجأ الأمير عبد القادر إلى المغرب الأقصى في شهر أكتوبر من عام 1843 ، إلا انه اضطر لمغادرة المغرب و العودة إلى الجزائر في شهر سبتمبر 1845 بعد أن أرغمت فرنسا سلطان المغرب مولاي عبد الرحمان على عدم السماح للأمير بالبقاء في المغرب الشقيق وقد حاول الأمير مواصلة نضاله.

و لما حل بالمغرب شرع في إعادة تنظيم قواته و مد الثورة الجزائرية التي بقيت قائمة في العديد من المناطق ، و قد استطاع أن يحرز انتصارا على كافينياك بسيدي إبراهيم في شهر سبتمبر 1845، ترك أثرا حميدا لدى هؤلاء الذين واصلو الكفاح فيما بعد .

لم يستطع الأمير كما أراد الالتحاق لا بالثوار في الصحراء الذين كانوا يقاتلون عميل الاستعمار" بن قانة " و لا بالثوار في القبائل تحت قيادة الخليفة ابن سالم ، و لكن تم احتلال العديد من القبائل و حيثما مر الفارس (الأمير عبد القادر) شهد المدن حرائق و مذابح يندى لها الجبين ، أما المجموعات الأخيرة التي بقيت بمعية الأمير و رضيت بعدم التكافؤ مع العدو في المعارك فقد أبيدت [2].

وأمام هذا الوضع المزري الذي يسير من السيئ إلى الأسوأ ، ففي 28 فيفري 1846 عقد الأمير مؤتمرا هاما في " بوغني " ، اشترك فيه عدد من زعماء بلاد القبائل الكبرى لبحث مسالة استمرار الحرب ، و قد قررت القبائل بأغلبية كبيرة المضي قدما في المقاومة.

وأثر ذلك سار الأمير إلى الجنوب الغربي على رأس 2000 فارس في 7 مارس وغزا عددا من القبائل الموالية للفرنسيين في المنطقة التي تمتد بين " البروجية " و "قصر بوغار " [3].

ومن ذلك تجنيد الأمير لفرقة كبيرة من الزواوة و الهجوم بها على نواحي العاصمة حيث لا يتوقع الفرنسيون الهجوم، و لكن أمام هذا الانتعاش للأمل كان العدو يحقق انتصاراته أيضا ، فقد بيجو الزواوة و اضطر ابن سالم خليفة الأمير على البويرة (برج حمزة) إلى الاستسلام خلال أفريل 1847.

---

[1] - عمار بوحوش : التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962 ،المرجع السابق، ص 114 .
[2] - كاتب ياسين : مجلة الثقافة ، العدد السابق ، ص 208 .
[3] - إسماعيل العربي : المرجع السابق ، ص ص 297 ، 298 ..

وأصبح الأمير في الواقع مطارد بين جيشين كما عرفنا : الجيش الفرنسي من الشرق والجيش المغربي من الغرب ، وقد أجبرته ظروف الدفاع عن النفس إلى أن يدخل في معركة حامية مع الجيش المغربي[1] ، لأن السلطان المغربي مولاي عبد الرحمان الذي ناصر الأمير في البداية ، تخلى عنه اثر قصف الأسطول الفرنسي لمدينتي طنجة و الصورية[2].

وعبرت الدائرة وادي ملوية بعد منازلات باهرة مع الجيش المغربي من جهة و الفرنسي من جهة أخرى ، رغم أن الخصم ظل يضغط عليها فان عبد القادر رفض أن يترك الوادي إلى أن تكون الدائرة على بعد ساعة في سهل الطريفة ، و أخيرا وصلت وادي " فيس " الذي عبرته حوالي نصف الليل و انتهى تعرضها للأذى ، فقد أصبحت في منطقة فرنسية و من كل ذلك الحشد الهائل من الرجال و النساء و الأطفال و الحيوانات لم تفقد حياة واحدة و لم يضع حيوان صالح للحمل ، ذلك أن عبد القادر كان حارس الجميع ببرودته و مهارته و شجاعته ، و لكن كثيرا من الخسائر قد وقعت في صفوف هذه الفرقة البطلة التي استجابت بإخلاص ، فقد مات منهم أكثر من 200 رجل و كان الباقون يعانون من الجراح.

وبعد أن ترك الدائرة في امن مؤقت ، رجع إلى جبال " بني سنسن " و هي قبيلة أنظمت إليه جزئيا و تبعه فرسانه الذين لا يحجمون في صمت قلق متألمين تعبين حائرين و سقطت الأمطار كالسيول ، و استولت على عقل القائد الشارد الأفكار المتضاربة الثقيلة فرغم أن الفرنسيين كانوا على مرمى البصر يحتلون المضيق الرئيسي لجبل " الكربوس " فما تزال هناك بعض الممرات الضيقة التي يستطيع أن يخلص منها إلى الصحراء ، و معنى ذلك انه ما يزال في إمكانه أن يجرب حضه ، و فكر بقنوط ، كيف سيمضي هكذا في المقاومة بلا طائل ؟ و أي قوة بقيت لديه الآن ؟ و على أية مساعدة سيعتمد ؟ ثم انتقلت أفكاره إلى أمه المسنة و زوجته و أطفاله و أتباعه اليائسين الذين كانوا على مسافة ثلاث ساعات من المعسكر الفرنسي و الذين يمكن أن يدخلوا كأسرى حرب فقد شعر أن نهايته تقترب ، و هو

---

[1] - أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية (1830 -1900) ،ج 1 ، ط1 ، دار العرب الإسلامي ، لبنان ،2007 ، ص 39 .

[2] - صالح فركوس : المختصر في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص 158 .

يعلم أن ما سيقرره عليه أن يقرره بسرعة [1]، و على الرغم من انه كان بإمكانه الفرار لكنه لم يرد التضحية بمن تبقى معه[2] .

وفي النهاية وجد الأمير بعين الوعي العميق و تحمل المسؤولية التاريخية أن الجولة انتهت بينه و بين الفرنسيين[3] .

وفي هذه الأثناء طلب الأمير من رجاله أن يقتربوا منه ، و عندما أحاطوا به افتتح هذا المجلس بكلمة قال فيها و هو يذكرهم بالقسم الذي نطقوا به في المدية على أن لا يتخلوا عنه مهما كانت الأخطار : " إنني دائما كنت اعتبر ذلك القسم ملزما لي نحوكم كما هو ملزم لكم نحوي ، إن هذا الشعور وحده هو الذي جعلني أثابر على الجهاد إلى هذه الساعة حتى و لو لم يكن هنالك أمل " ثم يختم هذا كلامه و يقول : " فإني أسألكم أن تعفوني من القسم الذي التزمت به إليكم عقليا عندما طلبت رسميا قسمكم " ، وبعد رفض رجاله لما قاله وتمسكهم به و إصرارهم على مواصلة الكفاح قائلين : " ليهلك النساء و الأطفال ، أهلنا و أهلك ، ما دمت أنت سليما و قادرا على الجهاد في سبيل الله ...." .

توقف عبد القادر بعض اللحظات ثم استأنف كلامه بتأثر عميق : " صدقوني إن المقاومة انتهـــت فلنعترف بذلك ، و الله شاهد على أننا حاربنا طالما كان ذلك في استطاعتنا ....." .

و بالإضافة إلى ذلك فان القبائل قد أصبحت تعبة من الحرب ، و انها لم تعد تطيعني يجب أن نستسلم ، و المشكل هو هل نسلم أنفسنا إلى المسيحيين أو إلى أيدي مولاي عبد الرحمن و لكم أن تحكموا في هذا الأمر ، بما ترون انه الأفضل ، أما أنا فإنني أفضل ألف مرة أن أثق فيمن حاربني على الوثوق فيمن خانني ، إن وضعنا حرج و لذلك فان مطالبنا يجب أن تكون متواضعة و أنني سأكتفي بطلب الأمان لنفسي و لعائلتي و لأولئك الذين يريدون أن يتبعوني إلى بلد إسلامية أخرى "[4].

---

[1] ـ شال هنري تشرشل : المرجع السابق ، ص ص 311 ، 312 .
[2] ـ كاتب ياسين : مجلة الثقافة ، المقال السابق ، ص 209 .
[3] ـ صالح عوض : معركة الإسلام و الصليبية في الجزائر ، المرجع السابق ، ص 130 .
[4] ـ شارل هنري تشرشل : المصدر السابق ، ص ص 313 ، 314 .

و تم طلب الأمان بالمكان المسمى " سيدي إبراهيم " في اليوم الثالث و العشرين من شهر ديسمبر سنة 1847 م ، و بعد ذلك بيومين أبحرت السفينة "اسمودس " الفرنسية على متنها الأمير و كثير من قواده و أتباعه الذين قرروا الاستمرار في البقاء إلى جانبه ، لكن السفينة بدلا من أن تأخذ طريق المشرق حسبما وقع عليه الاتفاق ، دفعتها رياح الغدر والخيانة إلى ميناء " تولون " حيث تبدأ مرحلة أخرى من حياة بطل الجزائر الأول والمجاهد الأكبر" عبد القادر بن محي الدين" [1] ، و هكذا انتهى جهاد الأمير على ارض الجزائر .

و لقد عبر الجنرال "لامورسيير" على طلب أمان الأمير أمام البرلمان الفرنسي فقال : " عندما يصبح رجل بسمعته الماضية و بعقيدته القوية و ببيانه المؤثر و بالمعارك التي خاضها و بالانتصارات التي حققها ، المثل الحي لفكرة تهز الجماهير بعمق ، فان خطرا داهما سيضل قائما طالما هو موجود في بلاده "[2] .

رابعا : نهاية الأمير :

لما انتهت مقاومة الأمير، كان من بين الشروط التي تعهد بها مع الجنرال " لامورسيير" أن ينتقل إلى إحدى البلدان العربية ، لكن فرنسا خانت العهد ، و وجد نفسه في قصر " امبواز " تحت الإقامة الجبرية ، فأقام فيه متمسكا بعرى الصبر، متجلدا بنوائب الدهر قائما بواجب العبادة ، و قد داوم على تدريس العلم و إفادة الطلبة من جماعته فقرأ الصغرى للسنوسي في علم الكلام و رسالة الإمام محمد بن أبي زيد القيرواني في الفقه على مذهب الإمام مالك و غيرها من المصنفات [3] و اختارت الحكومة الفرنسية لمؤانسة الأمير و مجالسته "محمد الشاذلي " القسنطيني حيث توطدت العلاقة بينهما [4].

و ما يلاحظ على الأمير في سجنه تمسكه بمبادئ دينه و وفائه لها ، و لتقاليد أسرته و وطنه فكان يقوم الليل و يعلم أبنائه على طريقة أبناء وطنه ، يكثر من المطالعة .

---

[1] - محمد العربي الزبيري : الكفاح المسلح ، المرجع السابق ، ص 197.

[2] - محمود بوعياد : أهم الأحداث في حياة الأمير عبد القادر ، مجلة الثقافة ، عدد خاص بالذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر ، مجلة تصدرها وزارة الثقافة ، الجزائر ، 1983 ، ص 261 .

[3] - محمد بن عبد القادر الجزائري : المصدر السابق ، ج2 ، ص 529 .

[4] - أبو القاسم عبد الله ، محمد الشاذلي القسنطيني (1807-1877) دراسة من خلال رسائله و شعره ، (د ، ط) ، شركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1974،ص 51

كان مثالا لكل من رآه في سجنه من رجال السياسة و العسكرية و الدين و الفكر، فجميعا كانوا مبهورين بشخصيته ، معجبين بعلمه ، مقدرين لسماحته .

و إستمر الحال على ما هو عليه إلى غاية 29 صفر 1256 هـ الموافق لـ 20 ديسمبر 1848 م حيث إنعقد مجلس خصوصي على رأسه نابليون الثالث ، الذي خرج بقرار إطلاق سراح الأمير[1] .

فغادر فرنسا باتجاه الإستانة التي وصلها في 28 ربيع الأول 1269ه – 8 يناير 1853م [2] و منها إنتقل إلى دمشق حيث استقر بها معززا مكرما إلى أن وافته المنية .

و تعتبر هذه المرحلة مرحلة تبدل أساسي و تغيير جوهري في حياة الأمير عبد القادر فقد أغمد سيفه و جرد قلمه ، حيث اعتبرت أغنى مراحل حياة الأمير قراءة و مطالعة تأملا صوفيا [3].

و إن موقف الأمير من مذبحة المسيحيين سنة 1860 يضيف مآثر جديدة إلى مآثره عبرت أطراف عنها بالهدايا و الأوسمة الرفيعة التي تلقاها هذه المناسبة [4]، إلى درجة انه حظي بثقة نابليون الثالث و أراد تعيينه على رأس إمارة عربية نظرا لكفاءته في الحكم كرجل دولة .

توفي الأمير عبد القادر و اسلم وجهه لله عز وجل بدمشق في منتصف ليلة السبت 19 رجب عام 1301ه الموافق لـ 26 أو25 ماي 1883م في قصره الكائن قرب قرية دمر و قد تولى غسله و تكفينه عبد الرحمن عليش احد علماء الأزهر ، حيث صلوا عليه بالجامع الأموي ثم شيعه أهل دمشق [5]، و قد دفن بجوار صفية الشيخ محي الدين بن عربي [6].

---

[1] - أبو القاسم سعد الله ، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر الحديث ،ج1 ، ط3، دار الرائد ، الجزائر ، 2009، ص 133.

[2] - محمد بن عبد القادر : المصدر السابق ، ج2 ، ص - ص 635،632.

[3] - قاسي فريدة : المذكرة السابقة، ص 69.

[4] - محمد بن عبد القادر : المصدر السابق ج2 ، ص 632- 635 .

[5] - الأمير عبد القادر : ذكر العاقل و تنبيه الغافل ، تحقيق وتقديم ممدوح حقي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1976، ص 20.

[6] - النجاري علي حيدر : الأمير عبد القادر قصيدة مخطوطة في رثائه، مجلة الثقافة ، عدد 37 ، 1397ه-1977م ، ص 54 .

و غريب الاتفاق انه ولد في رجب و بويع في رجب و توفي في رجب ، و قد أثرت وفاته على أهل الاستانة لاسيما العلماء ، الأعلام و الأمراء تأثيرا عظيما ، فابنته جراندهم أحسن تأبين و رثاه أدبائهم خير رثاء.

و من بين الذين رثوه رسول إفندي النجاري في كتابه المخطوط " الجواهر الغالية الأثمان في الرحلة إلى دار خلافة آل عثمان " منها مقتطفات[1] :

حوادث الدهر لا تبقى على بشر ... و باطن الأرض يطوي كل منتشر

هذا الأمير الخطير المعلي شرفا ... سليل خير الأنام المصطفى القرشي

من كان للقادر القهار عابده ... صافي السريرة طابا طيب السير

أمير مجد يلوذ الأكرمون به ... و يلجئون به في البدو الحضر

قد عم إحسانه الأقطار اجمعها ... أمات خلقا كعد الرمل و المدر

كما تأثر الرأي العام التونسي لوفاته ، حيث نشرت جريدة الرائد التونسي التي كانت تصدر تحت رقابة سلطات الاحتلال خبر نفي المجاهد الكبير بعد خمسة أيام من وفاته أي في 31 ماي 1883 و قد صدر المقال تحت عنوان " نزيل دمشق و فقيدها "[2]، و نقل رفاته إلى الجزائر في عام 1966 م .

و قد كتب على شاهدة الضريح تاريخ وفاته الأديب الشيخ عبد المجيد الخاني ما نصه[3] :

لله أفق صار مشرق دارتي ... فمرين هلا من ديار المغرب

الشيخ محي الدين شيخ الأولياء ... قمر الفتوحات الفريد المشرب

و الفرد عبد القادر الحسني الأمير ... قمر المواقف ذا الوفي ابن النبي

من نال مع أعلى رفيق أرخوا ... اذنى مقامات الشهود الأقرب

[1] ـ النجاري علي حيدر : المقال السابق ، ص 56 .
[2] ـ الجابري محمد الصالح : التواصل الثقافي بين الجزائر و تونس ، فصل "أصداء جهاد الأمير عبد القادر " ، (د ، ط)، دار الغرب الإسلامي بيروت 1990 ، ص 84.
[3] ـ محمد عبد القادر : المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 857 ، 858 .

الفصل الثالث

مقاومة الحاج أحمد باي المرحلة الأولى (1830-1836)

أولا : التعريف بايلك الشرق الجزائري

ثانيا : مواقف الحاج أحمد باي من الأمير عبد القادر

ثالثا : مقاومته ضد احتلال الجزائر 1830

- مشروع معاهدة 1830 إلى غاية 1832

رابعا: إدارته و تنظيم قواته العسكرية

01- الجهاز الإداري

02- قوات الباي العسكرية

أولا : التعريف بايلك الشرق الجزائري:

يعتبر بايلك الشرق من أهم أقاليم الجزائر جغرافيا، وأغناها وأكثرها سكانا وأوفرها ملاحة ، هذا ما جعل القادة الفرنسيين يعتبرونها منطقة إستراتيجية التي يمكن من خلالها السيطرة على الجزائر[1] .

أما المجال الجغرافي كان يمتد في سنة 1837- أثناء فترة الأتراك - ابتداءا من أبواب الجزائر العاصمة إلى غاية المملكة التونسية، في حين لم تكن له حدود معينة من ناحية الشمال والجلوب، سوى البحر المتوسط أو الصحراء[2].

ضم هذا البايلك العديد من القبائل بفروعها المتشعبة، أصبحت فيما بعد خاضعة للباي احمد حاكم البايلك مثل : أولاد سحنون، قبائل الحراكتة، أولاد دراج.....[3].

وكانت قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري، هذه المدينة العربية العريقة التي وجدت منذ القدم يعود تاريخ تأسيسها إلى سنة 1450 ق م[4] بدأت هذه المدينة من قرية صغيرة ثم تحولت إلى عاصمة كبيرة هامة سياسيا وتجاريا، مرت بها العديد من الحضارات كالفنيقيين والرومان، الوندال ، ثم الفتح الإسلامي ، ظلت تابعة للقيروان مدة قرن[5] .

أما موقعها الجغرافي ،فهي تقع فوق صخور وعرة، تحيط بثلاثة أرباعها وعلى سفح هذه الصخور ينساب نهر يسمى بالوادي الكبير ، يأتي من الجنوب الشرقي، ويتصل بواد الرمل ، ويمر بالجهة الجنوبية و الشرقية والشمالية من المدينة بين صخور عظيمة [6] فالمدينة مشرفة من أطرافها الثلاثة على الهاوية وتتصل ببقية الأرض من الجهة الرابعة فقط ، ونظرا لتميز موقعها الطبيعي تعتبر مدينة قسنطينة أم المدن بالنسبة للناحية الشرقية كلها .

---

[1] - عمار بوحوش : التاريخ السياسي من البداية والى غاية 1962 ،المرجع السابق، ص 63.
[2] - صالح فركوس : الحاج احمد باي قسنطينة ، المرجع السابق ، ص 25 .
[3] - بوعزة بو ضرساية : المرجع السابق ، ص ص 36، 41 .
[4] - محمد الهادي بن علي شغيب : أم الحواضر في الماضي والحاضر ، تاريخ قسنطينة، مطبعة البعث ، 1980، ص 8 .
[5] - عبد العزيز فيلالي : مدينة قسنطينة دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية ، ط1() ، دار البعث ، قسنطينة ، 1984 ص 14 .
[6] - فدلين شلوصر : قسنطينة أيام احمد باي (1832 -1837)، ترجمة أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع د . ت ، ص 231 .

ومما زاد مدينة قسنطينة قوة ومناعة طبيعية ، أبوابها الأربعة[1] فلا يمكن مهاجمة المدينة من الناحية الشرقية لوجود هذه الأبواب وهي باب القنطرة ويقع في الشرق، أما الأبواب الثلاثة الأخرى فتقع في الجنوب الغربي على خط واحد ، وهي على الترتيب : باب الرحبة ومنذ 1836 أصبح يطلق الباب الجديد، وباب الجابية، ثم باب الوسط ويعرف بباب الواد[2].

أما شكل المدينة الجيولوجي اهليجي ذو سطح يرتكز على إنحداء وإلتواء كبير يتجه نحو الجنوب الغربي في خط يكاد يكون مستقيما [3].

ثانيا : مواقف الحاج أحمد باي من الأمير عبد القادر :

قبل الحديث عن العلاقة بينهما ، فإن الرجلين ظهرا على مسرح الأحداث في فترة زمنية واحدة و كليهما واجه نفس المحتل حتى أن نهايتهما كزعيمين للمقاومة كانت في نفس السنة 1847.

لذلك فان علاقة الحاج أحمد باي بالأمير عبد القادر تشكل قلب العقد في المقاومتين المنظمتين للإحتلال الفرنسي ، خاصة في السنوات الأولى ، كما أنها نقطة الضعف في المقاومة الجزائرية فالعلاقة بين قطبي المقاومة في شرق البلاد و غربها تثير الكثير من التساؤلات [4]، هذه العلاقة كانت تتأرجح ما بين العداء و التقارب من فترة لأخرى [5].

فاختلفت آراء المؤرخين ، فمنهم من إتجه إلى تأييد أحمد باي في موقفه من الأمير و أنه الأحق بالسلطة ببسط سيادته على كامل الجزائر[6] ، بعد سقوط العاصمة الجزائر في يد المستعمر، عين نفسه باشا أي أنه الوارث الشرعي و الممثل الوحيد للخلافة العثمانية [7].

---

[1] - بوعزة بوضرساية : المرجع السابق ، ص 31 .
[2] - - فندلين شلوصر : المرجع السابق ، ص 73 .
[3] - ناصر الدين سعيدوني : وصف مدينة قسنطينة ، مجلة الاصالة ، عدد 58-59 ، ص 8 .
[4] - ناصر الدين سعيدوني : دراسات و أبحاث ، المرجع السابق ، ص 205 .
[5] - بوعزة بوضرساية : المرجع السابق ، ص 223 .
[6] - قليل عمار : ملحمة الجزائر الجديدة ، ج1 ، ط1 ، الجزائر ، 1991 ، ص 44 .
[7] - صالح فركوس : محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر 1830 – 1925 ، المرجع السابق ، ص 44 .

أما الرأي الآخر فأيد الأمير ، بينما إتجه فريق إلى تغليط كليهما معا و أعتبر الصراع الذي كان قائما بينهما ، كان من أجل السلطة في وقت كانت الجزائر في أمس الحاجة لتوحيد الصفوف لهدف تحقيق الوحدة [1].

و أما بالنسبة لموقف أحمد باي من الأمير ، فلم يتمكن من الإتفاق معه لأنه كان يرى فيه دعيا متطاولا على السلطة على أساس أنه الوريث الشرعي [2]، فرفض الولاء و الطاعة لدولة الأمير عبد القادر التي سعت مرارا لضمه [3].

و بالرغم من جهود الباب العالي تبديد الخلافات بين الأمير عبد القادر و الحاج أحمد والتقريب بينهما ، إلا أن تلك المحاولات باءت بالفشل ، بينما نجحت السياسة الفرنسية في التفريق بينهما و بالتالي تفوقت في تحطيم كل المساعي الهادفة إلى تحقيق وحدة البلاد ، فمثلا استطاع الماريشال فالي التفاوض مع الباي أحمد ، فكان يعده بإعادة تنصيبه بايا على بايلك الشرق إثر احتلال مدينة قسنطينة ، و هذا بقصد الحيلولة دون وحدته مع الأمير ، في حين استطاع الجنرال بيجو التوصل إلى عقد اتفاقية مع الأمير بهدف التفرغ إلى احتلال مدينة قسنطينة والقضاء على مقاومة الحاج أحمد [4].

و مما زاد في حدة التوتر و العداء بين الرجلين هو شك الحاج في الأمير من خلال توقيعه اتفاقيات مع السلطات الفرنسية سنتي 1834 و 1837 [5]، وما زاد في شرخ العلاقات بينهما هي معاهدة تافنة في سنة 1837 و التي أعتبرها الحاج أحمد خيانة للجزائر[6].

قبل احتلال قسنطينة بفترة قصيرة كان الأمير عبد القادر قد اخبر العرب بأنه ابرم الصلح مع الفرنسيين الذين اعترفوا بسيادته على كامل أنحاء البلاد و عليه طلب منهم أن يدخلوا في طاعته و كما جاء في مذكرات احمد " أن يتخلصوا من سلطاني.....و إن لم تفعلوا ذلك فإنني أثير عليكم الفرنسيين و في وقت وجيز ستسحقكم قواتي و قواتهم "[7].

---

[1] - قليل عمار : المرجع السابق ، ص 44 .
[2] - أبو القاسم سعد الله : محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ، المرجع السابق ، ص 146 .
[3] - العربي منورة : المرجع السابق ، ص 177 .
[4] - صالح فركوس : الحاج احمد باي قسنطينة ، المرجع السابق ، ص 64 .
[5] - ابو القاسم سعد الله : محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ، المرجع السابق ، ص 146 .
[6] - بوعزة بوضرساية : المرجع السابق ، ص 223 .
[7] - محمد العربي الزبيري : المصدر السابق ، ص 55 .

فأحس الحاج احمد بالارتياب و الخوف من تهديد الأمير بأنه سيهاجم قسنطينة مع الفرنسيين إذا لم يستسلم له .

و استطاعت السلطات الفرنسية أن توسع الشقة بينهما ، فكانوا يعملون على إثارة الرجلين ضد بعضهما ، والواقع أن معاهدة التافنة التي جاءت بعد فشل المحاولة الأولى لاحتلال قسنطينة سنة 1836 [1]، كانت هذه المعاهدة في نظر الحاج احمد عملا عدائيا ضده لأنها أطلقت يد جيش الاحتلال في شرق البلاد لكي يثار لهزيمته السابقة [2].

والحقيقة أن الأمير كان يحاول توسيع سلطانه على حساب سلطة الحاج احمد باي ومحاولة ضم الأنصار و المؤيدين في الجزء الغربي من بايلك الشرق ، و هو ما جعل الحاج احمد يراسل الباب العالي و يذكر في رسالته دور الأمير في تأليب السكان الخاضعين له ضده [3]،عوض أن يحثها على الجهاد ضد العدو الفرنسي المحتل [4].

إن مواقف الأمير تجاه الحاج احمد و أحداث قسنطينة بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر هي التي وسعت الهوة بين الطرفين و هو ما كانت تصبو إليه فرنسا ، و من جهة أخرى أضحت سياسة الأمير على نحو من السلبية بالنسبة للحاج احمد ، خاصة محاولة الأمير في توسيع سلطانه على حساب سلطة الحاج احمد في بايلك الشرق .

ثالثا : مقاومته ضد احتلال الجزائر 1830 :

عندما وطأت أقدام الاستعمار الفرنسي أرض الجزائر عام 1830 ، بعث الداي " حسين " رسالة إلى الحاج احمد يدعوه للجهاد ضد المستعمر و أمره بتحصين ميناء عنابة و سيتقدمه إلى مدينة الجزائر لأداء الدنوش *، فاتجه الحاج احمد إلى العاصمة و اصطحب معه حوالي أربعمائة فارس[5].

---

[1] - أبو القاسم سعد الله :المصدر السابق ، ص 146 .
[2] - أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية ، ج1 ، المرجع السابق ، ص 182 .
[3] - ناصر الدين سعيدوني : دراسات و أبحاث ، المرجع السابق ، ص 225 .
[4] - بوعزة بوضرساية : المرجع السابق ، ص ص 227 ، 228 .
* : الدنوش : هي الرحلة التقليدية التي يقوم بها الباياات كل ثلاث سنوات الى العاصمة لتقديم تقرير عام عن حالة الاقليم و تجديد الولاء للباشا ، و دفع اللازمة أي الالتزام المالي الذي يحمله كل باي معه الى الباشا .
[5] - محمد العربي الزبيري : المصدر السابق ، ص 13 .

وعند وصوله عرض عليه الداي "حسين" تفاصيل الحملة ، ثم حضر مجلس الحرب الذي عقده الداي قرب سطاوالي* ، وضم كل من باي التيطري " مصطفى بومرزاق " و خليفة باي وهران و ناقشوا كيفية مجابهة الاستعمار الفرنسي [1].

و كانت الخطة التي اقترحها الباي احمد تعتمد في أساسها على عدم المواجهة المباشرة للمحتل حيث توزع القوات الجزائرية العثمانية [2]، و ترك جزء منها غرب سيدي فرج و ذلك بهدف منع وصول العدو للعاصمة الجزائر [3]، و قطع السبيل بينهم و بين مؤنهم و مراكبهم من المؤخرة [4]، كما طالب بضرورة حفر الخنادق حول المعسكر ، لكن خطته رفضت من طرف الاغا "ابراهيـــم" [5].

وحجته في ذلك أن الباي احمد لا يعرف التكتيك الأوروبي لأنه يتعارض مع تكتيك العرب ورأى الحاج احمد في هذه الإجابة إهانة له لهذا التزم الصمت[6].

و بالرغم من هذا إلا أن الحاج احمد كان في مقدمة المعركة ضد الاحتلال الفرنسي مع حوالي 4000 محارب [7].

18 جوان 1830 هاجمت القوات الجزائرية الجيش الفرنسي ، لكن هزمت قوات الداي حسين في هذه المعركة - معركة سطاوالي - [8]، ثم قام الجنرال "بورمون" بجمع أعضاء مجلسه يوم 04 جويلية 1830 و حرر رسالة أرسلها للداي حسين و فيها أطلعه على شروط الاستسلام، صادق الداي على هذه الاتفاقية بكاملها صبيحة 05 جويلية 1830 [9].

---

* : سطاوالي أو اوسه ولي بالتركية ، تقع على مسافة سير ساعة من سيدي فرج .

1 - أبو القاسم سعد الله : محاضرات في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص - ص 40 ، 134 .

2 - أحميدة عميراوي : من الملتقيات التاريخية ، المرجع السابق ، ص 120 .

3 - حمدان خوجة : المصدر السابق ، ص 192 .

4 - صالح فركوس : محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر 1830 – 1925 ، المرجع السابق ، ص 47 .

5 - أبو القاسم سعد الله : محاضرات في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص 40 .

6 - حمدان خوجة : المصدر السابق ، ص 192 .

7 - عمار بوحوش : المرجع السابق ، ص 115 .

8 - بسام العسلي : المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي 1830- 1838 ، دار النفائس ، لبنان ، 2010 ، ص 115 .

9 - محمود باشا محمد : الاستيلاء على ايالة الجزائر أو ذريعة المروحة ؛ ترجمة عزيز نعمان ، دار الأمل ، الجزائر 2005 ، ص ص 65 ، 67 .

بعدها هاجم الفرنسيون برج مولاي حسان فانسحب الباي احمد إلى منطقة "وادي القليعة" ، ثم إلى عين الرباط إلى شرقي العاصمة و تابع طريقه شرقا في اتجاه قسنطينة [1].

وقد تأثر بما حدث بالعاصمة أثناء مشاركته ضد الاحتلال الفرنسي إلى جانب الداي "حسين" في معركة - السطاوالي - فقرر مواصلة النضال ضد المستعمر لاسترجاع الجزائر لكن وقتها لم يكن وضعه الإداري و السياسي مهيئا لتحقيق خطته العسكرية [2].

إثر سقوط مدينة الجزائر ، جمع الحاج كل أنصاره من الأهالي و الانكشاريين و استطاع تكوين قوة جديدة يعتمد عليها ، ثم أرسل إلى السلطان العثماني يطلب منه المساعدة ، هذا الأخير نصبه الباشا خليفة للداي "حسين" [3].

1 - مشروع معاهدة 1830 الى غاية 1832 :

بعد احتلال مدينة الجزائر حاول "بورمون" التفاوض مع الحاج احمد و طلب منه الاعتراف بسيادة فرنسا لكنه رفض [4].

ثم تلتها محاولة الجنرال "كلوزال" ، فبمجرد رجوع الحاج احمد إلى الحكم - من العاصمة الجزائر - أرسل الجنرال"كلوزال" رسالة تضمنت دفع الأزمة في المقابل الاعتراف به كباي على قسنطينة [5]، و كان الجنرال الفرنسي يعتقد انه يستطيع عزل الباي ومنح احد أشقاء باي تونس الخلافة على بايلك قسنطينة و هذا بموجب مرسوم 15 ديسمبر 1830، لكن هذه المحاولة باءت بالفشل [6].

و لما قدم "الدوق روفيكو*" صرح قائلا انه من دون السيطرة على مدينة قسنطينة ومنطقة الشرق لا يمكن البقاء لفرنسا في الجزائر، و الطريقة الأفضل في نظره هي استعمال وسائل لينة سليمة وهذا لسببين هما : القوة و الذكاء اللذان يتمتعون بهم سكان قسنطينة

---

[1] - بسام العسلي : المرجع السابق ، ص 115 .
[2] - عبد الجليل التميمي : الحاج احمد باي و بايلك قسنطينة 1830 – 1837 ، مجلة الاصالة ، ع64 ، الجزائر 1978 ، ص 20 .
[3] - عزيز سامح التر : الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية ، ترجمة محمود علي عامر ، ط1 ، دار النهضة العربية لبنان 1989 ، ص 653 ،ص 654.
[4] - صالح فركوس : الحاج احمد باي قسنطينة ، المرجع السابق ، ص 66 .
[5] - محمد العربي الزبيري : المصدر السابق ، ص 18 .
[6] - صالح فركوس : محاضرات في تاريخ الجزائر ،ج1، المرجع السابق ، ص 47 .
* الدوق روفيكو : عين قائدا للقوات الفرنسية في الجزائر 1830 وبقي الى سنة 1833 عرف بالتعسف والاضطهاد للأهالي .

بالإضافة إلى أنهم أكثر ميلا للحرب، أما السبب الثاني هو صعوبة الحرب في جبال وعرة المسالك .

و لهذا فالسيطرة يجب أن تتم ببطء ، و التفاوض هو السلاح الأفضل الذي يجب على السلطة الفرنسية أن تستخدمه [1].

ودارت المفاوضات بين الحاج احمد و "الدوق روفيكو" عن طريق "حمدان خوجة "[2]، و تضمن هذا المشروع لعقد هذه الاتفاقية مجموعة من الشروط منها إعلان الحاج استسلام بلاده لفرنسا، و دفع 3 ملايين فرنك ضريبة حرب ، ودفع اللازمة السنوية مقابل أن تعترف فرنسا به بايا على إقليم قسنطينة [3].

فرفض الحاج احمد رفضا قاطعا كل استسلام مخالفا لتعاليم العقيدة الإسلامية ، ثم أرسل الدوق رسالة ثانية أهم ما جاء فيها : تبقى فرنسا حامية عسكرية في كل من عنابه وقسنطينة ، بالإضافة إلى ميناء عنابه و قد رد الباي بالرفض مرة أخرى [4].

رابعا: إدارته و تنظيم قواته العسكرية.

01- الجهاز الإداري :

بعد ما حمل الحاج احمد لقب الباشا [5]، قام بتكوين مجلس شورى [6]، يتضمن نخبة من عقلاء البلد وعلمائها [7]، العنصر الأول و الأساسي في تلك الإدارة يسمى مشيخة ، و يطلق عليه أيضا قياد يتكون هذا العنصر الإداري من عدد من الدوابر .

و قد حرص الحاج احمد بآي على تنظيم بايلكه يساعده في ذلك يحيى أغا الجزائر وقام بتغيير القيادة و الشيوخ و ترتيب العمال ، و أعاد الهدوء و الاستقرار للمنطقة، فاخضع القبائل الكبرى إلى حكمه و نضمها اداريا ، كقبيلة عبد النور ، كما قام بتعيين الشيوخ

---

[1] - أحميدة عميراوي : جوانب من السياسة الفرنسية و ردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري ، ط2 ، دار الهدى الجزائر 2005، ص ص 41 42.
[2] - صالح فركوس : المرجع السابق ، ص 47 .
[3] - أحميدة عميراوي : موضوعات من تاريخ الجزائر السياسي ، دار الهدى ، الجزائر 2003، ، ص 85 .
[4] - بسام العسلي : المرجع السابق ، ص 120 ، ص 122 .
[5] - بسام العسلي : المرجع السابق ، ص 17 .
[6] - العربي منوزه : المرجع السابق ، ص 171 .
[7] - بوعزة بوضرساية : المرجع السابق ، ص 88 .

وتوليتهم على قبائلهم بحضور شيخ الإسلام، وكانت سلطة الشيوخ عسكرية و إدارية في آن واحد و غالبا ما تكون وراثية [1].

أما فيما يخص موظفو الباي احمد ، فان إدارته شملت على وظائف هامة منها : قايد الدار الذي يتولى من بعد الباي الخليفة ، ثم الأغا ، باش سراج ،باش حامبه،باش موكحلي، باش كاتب شاوس الصباحية، شاوش مسيلة ، شاوش بسكرة ، قايد اللحوم ، قايد البارود أغا المسيلة ، أغا الصباحية ، الخز ندار.....[2].

والوظائف الأخرى التي يمكن اعتبارها ثانوية ، منها الباش مكحالجي و هو قائد حرس الباي الخاص ، أيضا الباش سراج ، الباش فراش ... و غيرها[3] .

لقد تميزت إدارة الحاج احمد باي بالبدية و العدالة إلى حد كبير ، حيث تجسدت آثار ذلك في تنظيم إقليمه و حسن تسيير شؤونه ، أما الرعية فكانت تحضى بالعيش و الطمانينة[4] .

أما الجانب الجبائي فبمجيء الحاج احمد ألغيت أنواع من الضرائب التي كانت تمول الخزينة بقطاع الشرق ، كالغرامة و تدفع على الأشخاص و تكون نقودا من الفضة ، المشيخة وتفرض على شيوخ القبائل ، حق البرنوس و تفرض على الشيخ الذي يتولى مهاما في حدود قبيلته ، أما الحكر فهي الضريبة التي تجمع من المحصول الزراعي ، و لم يبقي الحاج احمد من هذه الضرائب إلا ضريبة العشر أي عشر المحصول الذي يدفع لبيت المال وفقا لما جاءت به الشريعة الإسلامية [5].

---

[1] - صالح فركوس : الحاج احمد باي قسنطينة ،المرجع السابق ، ص ص 29 ، 30 .
[2] - صالح فركوس : الحاج احمد باي قسنطينة ، المرجع السابق ، ص ص 26 ، 27 .
[3] - بوعزة بوضرساية : المرجع السابق ، ص 91 .
[4] - صالح فركوس : الحاج احمد باي قسنطينة ،المرجع السابق ، ص 32 .
[5] - أحميدة عميراوي : جوانب من السياسة الفرنسية، المرجع السابق ، ص 23 .

02- قوات الباي العسكرية :

كانت قواته العسكرية تتكون من المشاة و الفرسان أو الخيالة ، هذه القوة الأخيرة مقسمة إلى قسمين القسم الأول تحت قيادة الأغا ، أما القسم الثاني هو أيضا يخضع للأغا لكن يديره كوسيط القياد .

كان القسم الأول و الثاني يطلق عليهما بالترتيب كالتالي : الظهايرية و الزمالة ، أما الأولى فلم يكن لها قياد بل كان يحكمها مباشرة الأغا و هذا الأخير يعين شخصا للسهر على امن القبائل داخليا وهذه القبائل كانت دوما على أهبة الاستعداد و تمثل القوة العسكرية الملتزمة ، في حين أن الزمالة تعتبر القوة الاحتياطية حيث كانوا يرجعون إلى أوامر الأغا وقت الحرب .

أما فرقة المشاة و التي يتولى قيادتها الباي كانت مخصصة لحراسة المدينة أو لحمايته و هو يجوب الشوارع [1].

أما العتاد الحربي مثل الذخيرة و المدافع و البنادق إضافة لاحتياجاته من الخيل والبغال فقد كان يشتريها عن طريق تونس ، و على الرغم من الحصار الذي ضربه المستعمر على الحدود الشرقية حتى لا تصل ذخيرة البارود إلى مدينة قسنطينة إلا أن كميات لابأس بها كانت تصل قسنطينة لتزويد جيش الحاج احمد بكل ما يحتاجه [2].

و كان نشاط القوات العسكرية للبايلك الشرقي مقسم إلى قسمين : القسم الأول يتولى العمل بالنوبة أو بالثكنة أما الثاني يقوم بعمل المحلة ، و نظرا لأهمية المدينة فكانت تستلزم إقامة عدد كبير من الصفرية حيث تضم 23 جندي و بالتالي فان الحاج احمد قد اعد قواته العسكرية إعدادا قويا باذلا كل ما في وسعه لتزويدها بالعتاد الحربي و المؤن تحسبا واستعدادا لأي هجوم فرنسي على بايلكه [3].

[1] - صالح فركوس : الحاج احمد باي قسنطينة ، المرجع السابق ، ص 40 ..
[2] - بوعزة بوضرساية : المرجع السابق ، ص 102 .
[3] - صالح فركوس : الحاج أحمد باي قسنطينة ، المرجع السابق ، ص ص 41 ، 42 .

الفصل الرابع

مقاومة الحاج أحمد باي المرحلة الثانية (1836- 1848م)

أولا: محاولة احتلال قسنطينة سنة 1836

ثانيا : سقوط مدينة قسنطينة 1837

- مشروع المعاهدة بين الحاج أحمد و الجنرال فالي سنة 1837

ثالثا : استئناف المقاومة وتعبئة القبائل

رابعا : طلب الأمان ونهاية أحمد باي

أولا: محاولة احتلال قسنطينة سنة 1836 :

تعتبر هذه المرحلة من أهم مراحل المقاومة في الشرق الجزائري بقيادة الحاج أحمد باي، فلم تستطع القوات الاستعمارية أن تحقق تقدما في الشرق الجزائري.

بالرغم من احتلال مدينة عنابة وبجاية منذ 1830م إلا أن المستعمر لم يتمكن من النفاذ إلى المناطق الداخلية في شرق البلاد انطلاقا من هذين الميناءين، حيث لاقى مواجهة شديدة من الحاج احمد باي، وهو ما جعل، الفرنسيين يتأكدون من أن بقاء بايلك الشرق بقيادته يشكل خطرا على تواجدهم في السواحل الشرقية ، ولهذا أصبح من الضروري مهاجمته والقضاء عليه [1].

في نفس الوقت بدء الحاج يتطلع إلى مقاومة القوة الاستعمارية أينما وجدت إنطلاقا من مقر حكومته وهي مدينة قسنطينة معتمدا في ذلك على الأهالي لأنه رأى فيهم العزيمة والإيمان القوي لطرد القوات الفرنسية ، فكانت سنة 1836 البداية لحرب ضروس بين الحاج أحمد والفرنسيين[2] .

فقام بتكوين مجلس الشوري ، ورسم إستراتيجية ، ونظم جيشه الأمر الذي قال عنه الحاكم العام "كلوزال" بأن إحتلال قسنطينة لا يعدو بأن يكون مجرد نزهة[3].

فبدأت التحضيرات الفرنسية لتلك الحملة ، قام الجنرال "كلوزال" في 21 جانفي 1836 بإصدار أمر إلى "المملوك يوسف*" للذهاب إلى مدينة عنابة[4] حيث شن غارات وحشية على السكان قتل فيها الأطفال والنساء والشيوخ ، ثم شجع المملوك المارشال "كلوزال" لشن حملة على مدينة قسنطينة [5].

---

[1] - مبارك كبير : المرجع السابق ، ص 15.
[2] - بوعزة بوضرساية : المرجع السابق ، ص 139 .
[3] - العربي منورة : المرجع السابق ، ص 171 .
* المملوك يوسف : كان يهوديا مرتدا وكان أسير لدى باي تونس، ولما فر إلى الجزائر التحق بالجيش الفرنسي : أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر، ص 137 .
[4] - صالح فركوس : المختصر في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 158 .
[5] - صالح فركوس : الحاج احمد باي قسنطينة، المرجع السابق، ص 66 .

وفي شهر سبتمبر 1836 أقدم المارشال "كلوزال" على تقوية الوحدات العسكرية الآتية : من الجزائر ووهران ، وبجاية وكانت مدينة عنابة مركزا لها ، كما أقام العديد من المعسكرات المتقدمة من مقر عنابة ، وقد كان الحاج أحمد باي على علم بهذه التحركات عن طريق جواسيسه في عنابة والجزائر[1] .

أدرك الحاج أحمد خطورة الموقف فسارع إلى استدعاء قواته المتناثرة عبر أنحاء البايلك وبادر بعقد مجلس حربي مع قادة جيشه واخبر الشيوخ والأعيان بالتواجد الفرنسي الذي أصبح يهدد مصيرهم ، كما كشف لهم نوايا العدو الفرنسي ضده عن عزله وتعيين اليهودي "المملوك يوسف" باي جديد على بايلك الشرق.

ثم تحرك بقواته من قسنطينة مسافة نصف يوم، وأقام معسكرا عند مكان يسمى "واد الكلاب" [2].

أما بالنسبة للاستعداد العسكري لدى الجهتين فقد كان الجيش الفرنسي بقيادة المارشال "كلوزال" جيشا متنوعا من المشاة والفرسان والمدفعية [3]، مكون من 8800 جندي تم توزيعهم على أربعة وحدات مجهزة بأحدث الأسلحة[4] وخطب فيهم الماريشال كلوزال " أيها الجنود ... ندخل اليوم قسنطينة انه يوم تاريخي"[5] .

أما الحاج احمد باي فهو الأخر استعد للمعركة ونضم قواته المشتركة العسكرية التي بلغ عددها 8900 جندي وكانت كالأتي: 1400 رجل مسلح و1000 متطوع مهيئين للدفاع عن المدينة و1500 من المشاة و5000 فرسان متمركزين بين عنابة وقسنطينة.

وضع الحاج خطة عسكرية الهدف منها استدراج العدو إلى قسنطينة دون أي مقاومة حيث قسم قواته إلى قسمين الأولى بقيادته أما الثاني بقيادة خليفته "ابن عيسى" فيتولى الأول الدفاع عن المدينة من الداخل بينما القسم الثاني يهاجم العدو من الخلف وهنا تقع قوات الجيش الفرنسي عند وصولها إلى قلب المدينة بين نارين[6].

---

[1] - بوعزة بوضرساية : المرجع السابق ، ص 141 .
[2] - محمد العربي الزبيري : مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، المصدر السابق، ص 35 .
[3] - العربي منورة : المرجع السابق ، ص 172 .
[4] - بوعزة بوضرساية : المرجع السابق ، ص: 142 .
[5] - رابح لونيسي وأخرون: المرجع السابق ، ص: 142 .
[6] - سليمة كبير : المرجع السابق ، ص 15.

أما الجانب الفرنسي فلم يهتم بالأمر للثقة العمياء التي طغت على نفسية الجنرال "كلوزال" خاصة بتفوقه عدة وعتادا.

وقد التقى الطرفين في مكان يسمى "عقبة" واقتتلا قتالا شديدا[1] ولما رأى احمد باي التفوق الكبير لقوات الجيش الفرنسي تراجع لكنه استمر في صدهم حتى دخل قسنطينة.

وفي 21 نوفمبر 1836 على الساعة الثانية بعد منتصف النهار وصل الفرنسيون أمام أسوار المدينة[2].

وقام الفرنسيون بمهاجمة قسنطينة بعدما نصبوا مدافعهم على جبل المنصورة وسيدي مبروك الذي يشرف على المدينة وبدءوا في قصفها لإرغام سكان المدينة على الاستسلام [3].

كما اثر سقوط الأمطار والثلوج بكمية كبيرة وكذلك الوحل في تقدم التجهيزات العسكرية فاضطروا إلى التراجع وألحقت بهم خسائر فادحة [4]مما أدى إلى فشلهم ، فانسحب الجيش الفرنسي من حول المدينة مخلفا ورائه جرحى وقتلى[5].

و طارد الباي أحمد الفرنسيين حتى وصل مدينة قالمة، التي كان لهم بها معسكر فاستطاعوا أن يتحصنوا فيه [6]، وفي طريق عودته إلى قسنطينة وجد عربات مجملة بالمواد التموينية تركها الفرنسيون خلفهم، وعقب ذلك دخل الباي مدينة قسنطينة [7].

انتهت معركة قسنطينة سنة 1836 بنصر عظيم لأحمد باي، وهزيمة نكراء للجنرال الفرنسي الذي تم عزله واستدعائه إلى باريس[8]، أما بالنسبة للطرف الجزائري فقد ارتفعت الروح المعنوية للمجاهدين ومواطني قسنطينة بذلك الانتصار[9].

---

[1] - محمد العربي الزبيري : مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، المصدر السابق، ص 35 .
[2] - فندلين شلوصر : المصدر السابق ، ص 56 .
[3] - أبو القاسم سعد الله : محاضرات في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص 141 .
[4] - محمد العربي الزبيري : مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، المصدر السابق، ص 36 .
[5] - جمال قنان : قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994 ، ص 108 .
[6] - فندلين شلوصر : المصدر السابق ، ص 59 .
[7] - بسام العسلي : المرجع السابق ، ص 123 .
[8] - أسيا تميم : الشخصيات الجزائرية ، المرجع السابق ، ص 23 .
[9] - بسام العسلي : المرجع السابق ، ص 123 .

وعقب الفوز، بدأ الحاج في تحصين المدينة بصورة عامة قدر المستطاع ، أي تحصينات جديدة وتقوية التحصينات القديمة ، لأنه كان يدرك أن المستعمر لن يتأخر في تدارك خطأه ولذلك اتخذ احتياطاته لمقاومة الفرنسيين بشدة أكثر في حالة ما إذا أعادوا الكرة (حملة ثانية)[1] .

ثانيا : سقوط مدينة قسنطينة 1837 :

بعد الفشل الذي أصاب الجيش الفرنسي في معركة قسنطينة سنة 1836، ازداد إصرار الفرنسيون على احتلال المدينة [2]، فكانت سنة 1837 بمثابة نفس جديد لفرنسا حيث قامت بتحرير في الناحية العسكرية و السياسية و ركزت السلطات الفرنسية كل مجهودها على الناحية الشرقية [3].

فقبل احتلال قسنطينة من قبل الجيش الفرنسي بمدة قصيرة كان الحاج عبد القادر قد كتب للعرب يخبرهم بأنه أبرم الصلح مع الفرنسيين ، الذين اعترفوا بسيادته على كامل أنحاء البلاد [4].

حيث بادرت إلى عقد معاهدة التافنة في 30 ماي 1837 مع قائد المقاومة في المنطقة الغربية للأمير عبد القادر ، محاولة منها عزله عما يحدث في الشرق و قد نجحت إلى حد ما ، إذ كانت هذه المعاهدة بمثابة الضربة القاضية للمقاومة في الشرق الجزائري [5].

وهكذا أصبح باستطاعتها أن تتفرغ لتكسير هذا الذرع القوي و إيقاف القتال بين الطرفين لفترة مؤقتة[6] .

وقبل بداية المعركة حاول الفرنسيون التفاوض مع الحاج احمد باي بينما كانوا يستعدون لغزوه في عاصمة إقليمه – قسنطينة – فاتصلوا أولا باليهودي " ابن بعجو " [7]، الذي كان

---

[1] - فدلين شلوصر : المصدر السابق ، ص 61 .
[2] - محمد لطيب العلوي : مظاهر المقاومة الجزائرية ، دار النشر بفسنطينة ، 1985 ، ص 55 .
[3] - بو عزة بوضرساية : المرجع السابق ، ص 165 .
[4] - محمد خير الدين : مذكرات ، ج1 ، ديوان المطبوعات الجمعية ، الجزائر ، دت ، ص 56 .
[5] - بوعزة بوضرساية : المرجع السابق ، ص 165 .
[6] - صالح فركوس : الحاج احمد باي قسنطينة ، المرجع السابق ، ص 67 .
[7] - بسام العسلي : المرجع السابق ، ص 124- ص 125 .

خادما في قصر الحاج احمد و كان يتاجر في تونس و أرسله النقيب الفرنسي آنذاك " فولتر " و كانت اقتراحات و لكن الحاج احمد رفضها .

و يذكر الحاج احمد في مذكراته أن :" هذه الاقتراحات كانت قاسية إلى درجة أنني لم أتمكن من قبولها و لا من الإجابة عليها إلا بالرفض "[1] .

ثم خرج لقتالهم في مكان يدعى " بلاد عمر "[2] و هناك أرسل " بورمون " يهوديا آخر المدعو " بو جناح " و هو جزائري كان في زي فرنسي عارضا عليه الأمان وفق شروط معينة :

دفع غرامة حرب مقدارها مليونان و إقامة حامية فرنسية إلى قسنطينة .

تحتل القصبة بالمقابل تبقى السيادة للحاج احمد على كل المنطقة الواقعة بعد " مجاز عمار" غير أن أعيان و علماء قسنطينة رفضوا هذه الشروط [3].

و أرسل الحاج احمد رفضه إلى "بورمون" بواسطة "بوجناح" الذي رجع بشروط أخرى لكن الحاج رفضها ، و هذه المرة أرسل رفضه مع كاتبه لشكه في اليهودي بوجناح وبعد فشل هذه المحاولات للتفاوض من طرف الفرنسيين ، باتت المعركة وشيكة بين بايلك الشرق الحاج احمد وفرنسا [4].

و بدأت الاستعدادات المكثفة في هذه الحملة الفرنسية ، فسخرت طاقات مادية و بشرية لهذه المعركة و كلفت الحكومة الفرنسية الجنرال "بورمون" بتنظيم الهجوم الثاني على مقر البايلك وإقامة معسكرات على طول الطريق المؤدي إلى قسنطينة انطلاقا من عنابة على النحو التالي : " معسكر الذرعان ، معسكر النشماية ، معسكر مجاز عمار " و اتخذت هذه الأخيرة نقطة انطلاق للعمليات العسكرية على قسنطينة ، كما دعم الجنرال "بورمون" جيشه بقوة إضافية من الجزائر و وهران و كذلك تعزيزات عسكرية من ميناءي تولون و مرسيليا [5].

---

[1] - محمد العربي الزبيري : مذكرات احمد باي و حمدان خوجة و بوضربة ، المصدر السابق ، ص 45 .
[2] - أبو القاسم سعد الله : محاضرات في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص 141 .
[3] - محمد العربي الزبيري: المصدر السابق ، ص ص 45 ، 46 .
[4] - يحيى العلمي : المرجع السابق ، ص 125 .
[5] - بوعزة بوضرساية : المرجع السابق ، ، ص ص 167 ، 168 .

أما بالنسبة للطرف الجزائري فكان الحاج على علم بكل التحركات الاستعمارية والاستعدادات العسكرية لشن حملة على قسنطينة فاعد العدة واستعد لذلك[1] ، خاصة و أن السلطان العثماني بعث دعما عسكريا للحاج في ربيع سنة 1837 متمثل في أربعة سفن عثمانية وصلت إلى ميناء تونس محملة بالجنود الأتراك مع 12 مدفعا و 150 مدفعيا .

غير أن باي تونس كان مهددا من الأسطول الفرنسي ، فأرسل إلى السلطان العثماني يستأذن له بإنزال المدافع فقط على أرضه ، و استعمل تلك المدافع في شؤونه الخاصة أما الجنود فقد اعتذر له عن إنزالهم ، ثم أرسل إلى الحاج احمد يعتذر له عن موقفه و يخبره انه يريد أن يقيم علاقات ودية مع فرنسا ، فحرم الحاج احمد باي من ذلك الدعم في الوقت الذي كان بأمس الحاجة إليه لدعم قواته[2] .

فاكتفى الحاج احمد بما لديه من سلاح و رجال ، فجهز قواته و خرج من قسنطينة ونزل بموضع " فج سيلة " و طلب من أهلها المساعدة بالسلاح و المقاتلين [3].

ـ استطاع الحاج أن يجهز جيشا قوامه 12000 مجاهد و 1000 من المتطوعين و خصص 3000 منهم بمهمة الدفاع عن المدينة بقيادة بن عيسى من خارج قسنطينة ، كان قرابة 7000 فارس و 2000 جندي من المشاة تحت قيادة الحاج و انضم إلى هذه المقاومة شيوخ القبائل الكبرى بقسنطينة كالنمامشة ،المراكنة ، التلاغمة و فرجيوة.

أما الجيش الفرنسي فكان يتكون من 13000 جندي مدرب و هذا الجيش مقسم إلى أربعة فرق عسكرية تحت قيادة الجنرال "بورمون" إلى جانب ضباط بارزين معروفين بقدراتهم القيادية في المعارك و من هؤلاء : "فالي" ، "تريزل" و "روليار" ...، و كل ضابط من هؤلاء كان يطمح إلى تحقيق النصر في هجوم أخير على قسنطينة[4].

و قد حاول الحاج اعتماد نفس الخطة السابقة التي حققت له النصر في المرة الأولى وهي مواجهة الجنود الفرنسيين من داخل المدينة و ضربهم من الخلف ، لكن الفرنسيين

---

[1] ـ صالح فركوس : الحاج احمد باي قسنطينة ، المرجع السابق ، ص 67 .
[2] ـ أبو القاسم سعد الله : محاضرات في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص 142.
[3] ـ محمد صالح بن العنتيري : تاريخ قسنطينة ، تقديم يحي بو عزيز ، دار هومة ، الجزائر ، 2005 ، ص 107 .
[4] ـ بو عزة بومنرسلية : المرجع السابق ، ص ص 172 ، 173 .

تفطنوا لتلك الحملة فاخذوا كل احتياطاتهم و هو الخطأ الذي وقع فيه احمد باي فلم تنجح خطته [1].

كما اعد الفرنسيون هذه المرة خطة عسكرية تمثلت في إقامة معسكرات على الطريق المؤدي من معسكرهم إلى قسنطينة بهدف ضمان سير الحملة في ظروف حسنة ثم الهجوم مباشرة على باب القنطرة و كدية العاتي ، على أن تتركز قوة كبيرة على نقاط ضعف الدفاع بفتح ثغرة على أسوار المدينة[2].

انطلق الحاج احمد مع بقية قواته من قسنطينة و هاجم مدة ثلاثة أيام متواصلة الجيوش الفرنسية التي كانت متمركزة في معسكرها بمجاز عمار محاولة منه لتعطيل زحف الحملة لكنه فشل في صد زحفهم على المدينة ، فبينما كان الجيش الفرنسي يتقدم كان الحاج احمد يتراجع إلى الوراء [3].

و مع بداية شهر أكتوبر 1837 بدا الجيش الفرنسي حملته الثانية [4]، و كان الجنرال "بورمون" و "بيريقو" رئيس أركانه على رأس هذه الحملة[5].

و مع حلول اليوم الخامس من شهر أكتوبر 1837 حتى وصلت الحملة الفرنسية إلى سطح "المنصورة "، و كان الحاج قد عين ابن عيسى للدفاع عن المدينة [6].

و في يوم 06 أكتوبر وقع قتال مرير طوال اليوم بين الجيوش الفرنسية و المقاومين الجزائريين الذين حاولوا منعهم من التقدم لاحتلال المناطق الإستراتيجية [7].

حاصرت القوات الفرنسية المدينة ، ذلك أن الجيش الفرنسي قد انقسم إلى قسمين ، الجزء الأكبر تمركز في المنصورة أما الباقي خارجها[8] .

كانت الانطلاقة الحقيقية للمعركة يوم 07 أكتوبر 1837 من كل الجهات [1]، و في ضل هذه الأحداث اختار الباي احمد منطقة قرب كدية "عاتي" لمراقبة تحركات العدو ، و لما

---

[1] - عمار بوحوش : المرجع السابق ، ص ص 117 ، 118 .
[2] - بوعزة بوضرساية : المرجع السابق ، ص174.
[3] - محمد العربي الزبيري : المصدر السابق ، ص 49 .
[4] - فدلين شلوصر : المصدر السابق ، ص 62 .
[5] - عمار بوحوش : المرجع السابق ، ص 117.
[6] - صالح فركوس : محاضرات في تاريخ الجزائر ، ج1، المرجع السابق ، ص 49 .
[7] - عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ص 102 .
[8] - محمد العربي الزبيري : المصدر السابق ، ص 50 .

لاحظ انشغال الضباط الفرنسيين أمر "علي البومباجي" قائد مدفعية القصبة بقصف الموقع و نجح في القضاء عليهم و كان هذا في 12 اكتوبر1837 [2] .

و قد قتل رئيس العمليات العسكرية "بورمون" و رئيس أركانه ثم خلفه الجنرال "فالي" قائدا عاما للحملة ، و إستشهد البجاوي خليفة الحاج احمد في المدينة [3].

لم يستطع الجنرال "فالي" أن يحتل المدينة إلا بعد حصار دام ثمانية أيام ، حيث استخدم المدفعية مدة أربعة أيام و واجه مقاومة عنيفة داخلها [4].

لكن استطاعت الإدارة العسكرية الفرنسية من احتلال قسنطينة و كان ذلك في 13 أكتوبر 1837م [5].

إن الحاج أحمد خلال حكمه بايلك قسنطينة 1826 – 1837م ، قد حارب التوسع الفرنسي في ولاية الجزائر و رفض رفضا قاطعا التفاوض مع الفرنسيين ، فاعتبر نفسه والمجموعة القسنطينية في حالة جهاد ضد المحتل [6].

مشروع المعاهدة بين الحاج أحمد و الجنرال فالي سنة 1837 :

بعد يومين من سقوط قسنطينة و عندما كان الحاج احمد في منطقة الأصنام ، حمل له احد الفرسان العرب رسالة قصيرة من الجنرال فالي جاء فيها : " تعالوا أطلبوا الأمان واستسلموا .....".

لكن الباي رفض هذا العرض [7]، و لم يستسلم بل حمل شعار الجهاد في ظروف صعبة من اجل الإسلام و الوطن [8].

استمرت المفاوضات مع الحاج احمد ، فبعد مرور ثلاثة أيام قدم شخصان آخران هما ابن العطارمن قسنطينة و الحاج الباي من عنابة لنفس الغرض، و لكن بقي مصرا على نفس الإجابة [1].

---

[1] - عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ص 103 .
[2] - بوعزة بوضرساية : المرجع السابق ، ، ص ص 180 ، 181 .
[3] - عمار بوحوش : المرجع السابق ، ص 117.
[4] - أندري برنيان و آخرون : المصدر السابق ، ص 248 .
[5] - عبد الرحمن الجيلالي : المرجع السابق ، ج4 ، ص 41 .
[6] - عبد الجليل التميمي : المجلة التاريخية المغربية العهد الحديث و المعاصر ، ع2 ، تونس ، ص 92 .
[7] - محمد العربي الزبيري : المرجع السابق ، ص ص 54 ، 55 .
[8] - رابح لونيسي و آخرون : تاريخ الجزائر المعاصر 1830- 1989 ، ج1 ، دار المعرفة ، الجزائر ، 2010 ، ص 145 .

استطاع باي قسنطينة الحاج احمد أن يحافظ على سلطته مدة أكثر من سبع سنين و أن يخيب محاولات فرنسا في التوغل داخل البلاد [2].

فاعتقد فالي انه يمكن بواسطة اتفاقية إنهاء الحرب التي تقوم بها فرنسا طيلة هذه الفترة [3]، فأرسل بمسودة مشروع للحاج احمد تضمنت 14 مادة أهمها المادة الأولى يعترف الحاج احمد باي قسنطينة بسيادة فرنسا و سلطتها عليها ، و المادة الثانية تعطي فرنسا إلى الحاج احمد لقب باشا و هو لقب شخصي ، لكن المعاهدة لم تتم لأن الجنرال "فالي" قد تلقى رد الحاج احمد حول مشروع تلك الاتفاقية بالرفض [4]، و تم هذا في 16 أكتوبر 1837 [5].

ثالثا : استئناف المقاومة وتعبئة القبائل

فكر الحاج احمد في محو الهزيمة (معركة قسنطينة الثانية 1837) لذا اجتمع بقادة القوم، وعرض عليهم تشكيل زمالة بجميع الذين خرجوا من المدينة ثم نقلها إلى مكان آخر آمن في الجنوب، كما ذكر في مذكراته " ونبقيها تحت حماية مشاتنا، أما نحن فنرجع فورا إلى المدينة ونتمركز في طريق عنابة [6]"واقترح عليهم خطة جديدة لمقاومة الفرنسيين تعتمد على قطع الطريق الرابط مع مركز القوات الفرنسية بين قسنطينة وعنابة [7]، ومنع وصول الإمدادات إليها[8].

لكن خاله "بوعزيز بن قانة" الذي فقد سلطته في الصحراء لصالح "فرحات بن سعيد" عارض الخطة ، لأنها تتنافى مع مصالحه الشخصية ، فأراد أن يحارب فرحات أولا ثم الفرنسيين ثانيا[9].

ولم يستحسن الحاج احمد هذه النصيحة: " لقد اتبعت رأي بوعزيز وكان ذلك هو مصابي الأكبر "[10].

---

[1] - محمد العربي الزبيري : المصدر السابق ، ص 55 .
[2] - أندري نزيان و اخرون : المصدر السابق ، ص 247 .
[3] - صالح فركوس : الحاج احمد باي قسنطينة ، المرجع السابق ، ص 73 .
[4] - أحميدة عميراوي : موضوعات من تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص ص 88 ، 89 .
[5] - صالح فركوس :الحاج أحمد باي قسنطينة ، المرجع السابق ، ص 75 .
[6] - محمد العربي الزبيري : مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، المصدر السابق، ص 53 .
[7] - بسام العسلي : المرجع السابق ، ص 126 .
[8] - سليمة كبير : المرجع السابق ، ص 22
[9] - أبو القاسم سعد الله : محاضرات في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص 144 .
[10] - محمد العربي الزبيري : المصدر السابق، ص 54 .

عندما توجه الحاج احمد إلى الصحراء[1] تحالف فرحات مع الفرنسيين وعرض عليهم المساعدة للإطاحة بالحاج احمد باي [2]، مقابل أن يعترفوا به كشيخ للعرب ويمدوه بالجيوش لكنهم رفضوا مساعدته ، فطلبوا منه أن يقوم بالهجوم عليه و بهزمه.

ثم تقدم له السلطات الفرنسية ما يطلب، فامتثل "فرحات بن سعيد" لهذا الأمر ودارت المعركة بينه وبين الحاج أحمد ، ذاق فيها فرحات بن سعيد طعم الهزيمة التي فقد فيها ما يزيد عن ثلاثمائة من جنوده ما بين جريح وقتيل، فاضطر إلى الفرار ولجأ إلى "بلاد سوف"و"توقرت"، كما تكبد الحاج احمد خسائر في هذه المعركة[3].

وأمام هذه التطورات، اتخذ الحاج احمد بعض من مناطق الصحراء ميدان للنضال ضد الجيوش الفرنسية، فإنتقل من "بسكرة" إلى "وادي سوف"[4] ومن هنا راسل السلطان العثماني "محمود" أعلمه بكل ما حدث، كما تضمنت الرسالة عبارات قاسية وشديدة اللهجة من الإهمال الذي تعرض له الحاج أحمد[5] من طرف الخليفة العثماني بشأن الوعود السابقة في تقديم المساعدة له، وأهم ما جاء في الرسالة " بادروا بإمداد أهل الإيمان بالمساعدة وبنصرة أمة الإسلام.....لتكن عندكم همة المساعدة لمساعدة المسلمين "[6] ، فقد حمل السلطان محمود آنذاك مسؤولية الوضع المؤلم لأنه لم يفي بوعوده[7].

رغم هذه الظروف القاسية التي كان يمر بها الحاج احمد باي إلا انه ظل صامدا ، في شهر سبتمبر1838 بدأ الحاج احمد يتحرك ويحث القبائل على الصمود والمقاومة وهذا يتطلب التكتل في كتلة واحدة ضد المستعمر، وصل إلى الحدود التونسية من مدينة الكاف آملا في توحيد القبائل بهدف مهاجمة العدو بعاصمة إقليمه سابقا (قسنطينة)[8].

---

[1] - أحميدة عميراوي : جوانب من السياسة الفرنسية ، المرجع السابق ، ص43 .
[2] - أحميدة عميراوي : من الحقبات التاريخية الجزائرية ، المرجع السابق ، ص ص 121 ، 122 .
[3] - محمد العربي الزبيري : مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، المصدر السابق، ص 56 .
[4] - بوعزة بوضرساية : المرجع السابق ، ص 217 .
[5] - محمد العربي الزبيري :المصدر السابق، ص 57 .
[6] - محمد الطيب العلوي : المرجع السابق ، ص ص 60 ، 61 .
[7] - محمد العربي الزبيري : المصدر السابق، ص 57 .
[8] - صالح فركوس : الحاج أحمد باي قسنطينة ، المرجع لسابق ،ص 83 .

واستطاع جلب إليه بعض القبائل كقبيلة عامر الشرافة وأولاد زواوي وأولاد عبد النور والزوامرة، وبني هارون[1].

بالإضافة إلى قبائل بني وجانة وأولاد داود وقبائل التلاغمة [2]، لكن في خضم هده الأوقات العصيبة التي كان فيها الباي يحاول توحيد القبائل تخلى عنه خاله "بوعزيز بن قانة" الذي استسلم إلى الفرنسيين في نهاية شهر ديسمبر من نفس العام [3].

ومن خلال ما ورد في مذكرات الحاج أحمد فإن السبب في تخلي "ابن قانة" عنه لما تعرض الحاج احمد رفقة العرب التابعين له لخسائر فادحة جعلتهم يعيشون مرحلة من التقشف الكبير ولهذا طلب من بأي تونس السماح لهم شراء ما يحتاجون إليه من مؤن خاصة أن أسعار القمح كانت تباع بأسعار منخفضة في إيالة تونس غير أن الرجال الدين ذهبوا إلى تونس لم يحسنوا التصرف في هذا البلد ، فقد اتبعوا نصيحة مفسدة أعطاهم إياها "بوعزيز بن قانة" ، فقاموا بغزوة ضد "زاوية عبد الكريم" التي كانت مخزن لحبوب كامل الشرق التونسي ، أما "بوعزيز فقد كانت نيته ، عندما أعطى تلك النصيحة في مثل ذلك الخبث أن يشير على باي تونس .....ليأخذ ما كنت أملك"[4].

_ بعدها استسلم بوعزيز إلى الفرنسيين نزل الحاج احمد عند قبيلة "الحراكتة" ثم بدأ يعمل على تنظيم القبيلة وتعبئتها ضد المستعمر الفرنسي وكان هذا في عهد الجنرال "قالبوه" [5].

خلال ربيع سنة 1840 خرج الجنرال "قالبوه" على رأس حملة عسكرية باتجاه سكان قبيلة الحراكتة [6] وتصادف وقتها أن مرض الحاج احمد مرضا شديدا وكان ينوي اللجوء إلى الجبل ، بالرغم من دلك إلا انه لم يتخلى عنه وهو يواجهون المستعمر[7] ، فذهب بقوته لنجدتهم غير أن الجنرال "قالبوه" رفقة جيشه كان قد سبقه إلى الحراكتة[8] وغزى عليهم

---

[1] ـ صالح فركوس : محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ،ج1 ، المرجع السابق ، ص 51 .
[2] ـ بوعزة بوضرساية : المرجع السابق ، ص ص 234، 241 .
[3] صالح فركوس : الحاج أحمد باي قسنطينة ، المرجع السابق ،ص - ص 23، 83 .
[4] ـ محمد العربي الزبيري : مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، المصدر السابق، ص ص 57، 58.
[5] ـ محمد صالح بن العنتري : المصدر السابق ، ص 155 .
[6] ـ صالح فركوس : الحاج أحمد باي قسنطينة ، المرجع السبق ، ص 86 .
[7] ـ محمد العربي الزبيري : المصدر السابق، ص 61 .
[8] ـ بوعزة بوضرساية : المرجع السابق ، ص 244 .

فهزمهم هزيمة كبيرة [1]، واستولى الجنرال الفرنسي بالقوة على قرابة 80000 رأس من الماشية واستطاع الحاج احمد أن يسترجع جزءا هام منها [2].

ثم رجع الحاج احمد إلى "واد ريغ" وبعد مرور عام على إقامته في هذا المكان تآمر ضده أولاد يونس والزالمة وشكلوا قوة معتبرة لكن هاجمهم الحاج أحمد وقتل لهم 25 رجلا ففرو من ميدان المعركة ، ثم مر عام آخر دون أن يحدث شيء.

وفي آخر السنة 1840 انتقل من "واد ريغ " إلى منطقة "الحنانشة" وقضى بها فترة شهرين أثناء هذه المدة خرج طابور فرنسي قاصدا المنطقة التي يتواجد بها الحاج أحمد ولكنهم لما علموا أنه توجه إلى "جبل الأوراس" ، رجع الجيش الفرنسي إلى قسنطينة وبقي هو عاما في هذا الجبل [3].

ثم قصد "أولاد دراج" لكن بعض الأشخاص أرادوا أن يمكروا به فيمسكوه ويقدموه لفرنسا غير انه تفطن لهذا الخديعة فانتقل من عندهم وانتقل إلى جبل "أولاد سلطان" كونه جبل حصين ، التجأ إليه واستقر فيه[4] .

في سنة 1843 خرج طابورا فرنسيا من "سطيف" ضد القبائل الموالية للحاج أحمد ولم يشارك الحاج احمد أنصاره من القبائل أولاد سلطان هذه المعركة لأنه كان مريضا ودام القتال بين الطرفين يومين دون نتيجة تذكر[5].

بعد ثمانية أيام مضت رجع الطابور الفرنسي ثانية مهاجما "أولاد سلطان" ، هذه المرة هاجمهم الحاج أحمد فتراجعوا [6]، وقد تزامنت هاتان الحملتان في الفترة التي قدم فيها الدوق "دومال" إلى قسنطينة وكان هذا يوم الأربعاء 04 ديسمبر 1843 .

لما كان الدوق يقود عملياته في جبال أولاد سلطان غرب الأوراس كان الجنرال "راندون" يقوم بعمليات مماثلة شرق الأوراس على الحدود التونسية وصل إلى "تبسة" على مشارف الصحراء وهذا من اجل محاصرة الحاج احمد وأتباعه [1].

---

1 - محمد صالح بن العنتيري : المصدر السابق ، ص 155.
2 - صالح فركوس : محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ،ج1، المرجع السابق ، ص 52 .
3 - محمد العربي الزبيري : المصدر السابق، ص ص 61 ، 62 .
4 - محمد صالح بن العنتيري : المصدر السابق ، ص ص 155، 156 .
5 - بوعزة بوضرساية : المرجع السابق ، ص 256 .
6 - محمد العربي الزبيري : مذكرات احمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، المصدر السابق، ص 63 .

يوم 21 أفريل 1844 قامت السلطات الفرنسية بتجهيز حملة عسكرية كبيرة ، انطلقت مباشرة في اتجاه جبل "أولاد سلطان"[2].

كانت قوات الباي تتكون من 700 فارس وجندي من أولاد سلطان الذين خاضوا معركة في منتهى الضراوة والشدة [3]، وصفها الحاج أحمد باي قائلا بأنها " أدمى معركة في حياتي ويعلم الله كم معركة شهدتها منذ طفولتي .....نشاطنا كان متزايدا، بحيث أنهم عندما وصلوا إلى منتصف المنحدر كررنا عليهم بشدة وعنف فأرغمناهم على .....الرجوع إلى مراكزهم"[4].

في هذه الفترة مرض الحاج أحمد مرضا شديدا واشتد عليه المرض فحمله أصحابه على نعش ينقلونه من مكان إلى أخر حتى مكث بالمنعة وبقي فيها قرابة عام [5].

تفاقم الوضع الفرنسي نتيجة الأضرار الشديدة، والخسائر الفادحة نتيجة المعركة، مما أدى إلى تخوف السلطات الفرنسية من اندلاع ثورة شاملة، فعينت خلفا للدوق "دومال" الجنرال "بيدو" هذا الأخير قام فجأة في سنة 1845 بمهاجمة القبائل الموالية للحاج احمد منها : قبيلة أولاد داوود، أولاد عبدي وأولاد ودجانة [6].

وكانوا قد استنجدوا بالحاج احمد، فلبى النداء وقصدهم للمساعدة، فوجدهم مختلفين ومنقسمين على أنفسهم، فحاول أن يوحدهم في صف واحد لمواجهة المحتل، لكنهم ظلوا على ذلك الخلاف وهو ما سهل المهمة أمام القوات الغازية، التي لم تتردد في غزو القبائل فاستسلم لها أولاد عبدي وأولاد داوود، وبني وجانة [7].

ثم توجهت القوات الفرنسية إلى منطقة "المنعة"، وهذا يوم 22 ماي 1845 وكان قد وصلها الحاج بفرسانه بعد عودته من المعركة[8]، ولما علم بذلك قصد جبل "احمر خدو"[9]

---

[1] - محمد صالح بن العنتري : المصدر السابق ، ص 156 .
[2] - يوعزة بوضرساية : المرجع السابق ، ص 283 .
[3] - صالح فركوس : محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ،ج1 ، المرجع السابق ، ص 52 .
[4] - محمد صالح بن العنتري : المصدر السابق ، ص 208 .
[5] - محمد العربي الزبيري : المصدر السابق، ص 65 .
[6] - صالح فركوس : الحاج أحمد باي قسنطينة ، المرجع لسابق ، ص 87 .
[7] - محمد صالح بن العنتري : المصدر السابق ، ص 208 ، 209 .
[8] - يوعزة بوضرساية : المرجع السابق ، ص 310 .
[9] - محمد العربي الزبيري : المصدر السابق ، ص 66 .

وانسحب إلى قرية الكباش وإحتمى بأولاد عبد الرحمن [1]، واستقر بهذا الجبل مدة عامين تقريبا[2].

بدأت السلطات الفرنسية تعمل أكثر من ذي قبل للقضاء على مقاومة الحاج احمد الذي بات وجوده يهدد كيانها الاستعماري، ففي عام 1847 عاد سكان وادي عبد إلى الثورة ضد المستعمر، وتولى هذه المهمة حاكم بسكرة الجديد "سان جرمان" فحاربهم[3].

ومهما يكن فان احمد باي لم يفشل في تعبئة القبائل محاولا إيقاظ الشعور الوطني لدى السكان، ومواصلة الجهاد ضد المحتل بالرغم أيضا من الحالة المزرية التي كان يعيشها عدم الاستقرار والمعاناة اليومية[4].

رابعا : طلب الأمان و نهـــــــاية أحمد باي

عندما استقر الحاج احمد في جبل احمر خدو مدة عامين ، اتصلت به السلطات الفرنسية عن طريق القائد الفرنسي "سان جرمان" في بسكرة و قائد باتنة "كانروبير" و عرضوا عليه الاستسلام و وعدوه بالأمان [5]، و إعادة كل ممتلكاته إليه و نقله ليعيش في بلاد إسلامية فوافق على العرض لكبر سنه و ضعف قواه [6].

ثم أرسل إلى القوات الفرنسية يطلب منهم الأمان التام على حد قوله : " أجبني ...عن إعطائي الأمان ....و باختصار اطلب الأمان التام ....." [7] .

بعد مفاوضات طويلة بين الحاج احمد و السلطات الفرنسية ، استسلم الباي يوم 05 جوان 1848 إلى القائد سان جرمان ، و بسرية مطلقة رحل الحاج رفقة عائلته بأمر من المستعمر [8] .

---

[1] - محمد صالح بن العنتري : المصدر السابق ، ص 209 .
[2] - محمد العربي الزبيري : المصدر السابق، ص 67 .
[3] - محمد صالح بن العنتري : المصدر السابق ، ص 209 .
[4] - صالح فركوس : الحاج أحمد باي قسنطينة ، المرجع السابق ، ص 89 .
[5] - محمد العربي الزبيري : المصدر السابق ، ص 67 .
[6] - أبو القاسم سعد الله : محاضرات في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص 145
[7] - محمد الصالح بن العنتري : المصدر السابق ، ص 210 .
[8] - محمد العربي الزبيري : المصدر السابق ، ص 67 .

إثر استسلامه بقي بمدينة بسكرة يومين [1]، ثم نقل إلى باتنة و منها مباشرة إلى قسنطينة عاصمة ملكه القديم ، لكن هذه المرة مجردا من سلاحه [2]، حيث قضى بها ثلاثة أيام ثم سافر من سكيكدة إلى الجزائر العاصمة بحرا على متن سفينة [3]، و وصل يوم 17 جوان 1848 [4].

أما عن استقباله في الولايات التي نزل بها ، فذكر في مذكراته انه استقبل بحفاوة بالغة في بسكرة قسنطينة ، سكيكدة و الجزائر أيضا [5].

و في 30 جوان 1848 استقبله الحاكم العام للجزائر "ماري مونج" و خصص له منزلا له و لأهله [6]، بالإضافة إلى منحة سنوية قدرها 12 ألف فرنك فرنسي سنويا [7]، و كان الحاج احمد راض على هذا الاستقبال و ظل ينتظر أن تنفذ بقية الوعود [8].

لكن فرنسا كان شعارها الوعود الكاذبة ، فأجبرته على الإقامة الجبرية بمدينة الجزائر تحت رقابة مشددة دون أن تنفذ وعودها ، إلى أن وافته المنية سنة 1850 في نفس المكان [9].

و دفن في زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي وسط المدينة ولعل موته لم يكن طبيعيا [10].

بعد ثمانية عشرة سنة من الكفاح و محاربة الاستعمار الفرنسي ، ضعفت قوى الباي احمد وتدهورت صحته و نقصت إمكانياته الحربية ، فلم يعد قادرا على مواصلة المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي لذا سلم نفسه للسلطات الفرنسية ، على أمل أن تسمح له بالذهاب إلى أرض إسلامية ، و هو ما لم يتحقق ، فقد بقي سجينا تحت الإقامة الجبرية حتى وافته المنية.

تلك هي النهاية المأساوية لبطل المقاومة في الإقليم الشرقي .

---

[1] - صالح فركوس : الحاج احمد باي قسنطينة ، المرجع السابق ، ص 91 .
[2] - بسام العسلي : المرجع السابق ، ص 127 .
[3] - محمد الصالح بن العنتري : المصدر السابق ، ص 212 .
[4] - يوعزة بوضرساية : المرجع السابق ، ص 343 .
[5] - محمد العربي الزبيري : المصدر السابق ، ص ص 68 ، 69 .
[6] - يوعزة بوضرساية: المرجع السابق ، ص 343 .
[7] - بسام العسلي: المرجع السابق ص 128 .
[8] - محمد العربي الزبيري : المصدر السابق ، ص 69 .
[9] - صالح فركوس : الحاج احمد باي قسنطينة ، المرجع السابق ، ص 92 .
[10] - أبو القاسم سعد الله : محاضرات في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص 145 .

خـــــــــاتمة :

إن البحث والدراسة في موضوع مقاومة الأمير عبد القادر والحاج احمد باي ، بحث شاسع وواسع ، ولقد حاولنا أن ندرس مقاومة هذين البطلين من أبطال المقاومة الجزائرية دراسة علمية تكشف مراحل هذه المقاومة وكذا سر خلافاتهما، ثم النهاية التي آلت إليها كل منهما، وقد استخلصنا من تلك الدراسة النتائج التالية :

أولا : مقاومة الأمير عبد القادر : تميزت منذ البداية بشموليتها وصداها الواسع وبإشراق مسارها التاريخي حيث دامت قرابة 17 عاما تكللت بالانتصارات والنجاحات عاما بعد الآخر.

كما حملت المحتل على الاعتراف بالأمير عبد القادر في معاهدتين بارزتين ديمشال و التافنة، اظهر فيهما الأمير ذكائه الدبلوماسي المتميز.

كما خلصنا لأهم نتيجة في هذه المقاومة هي أن الأمير استطاع في زمن قياسي تكوين دولة على الطراز الحديث ذات أسس إسلامية و مبادئ دينية فكانت فيها الحكومات و القضاء و السكة.

ثانيا: مقاومة احمد باي : تميزت بحضور قائدها في ميدان المقاومة منذ أول غزو فرنسي على سواحل الجزائر مما يدل على رفض احمد باي لأي غزو خارجي على بلاده و غيرته عليها .

كما أن مكانة احمد باي في البلاد جعلته يرفض كل العروض والبدائل والتمسك بالإقليم الشرقي والدفاع عنه في وجه المحتل الذي كان متأكدا انه من دون السيطرة على قسنطينة لا يمكن البقاء لفرنسا في الجزائر وذلك راجع لقوة وذكاء سكانها .

وأن المقاومة في الشرق تميزت بالتنظيم و التجهيز العسكري والإداري، فاحمد باي لم يفوت فرصة حمله للقب الباشا، فكون المجالس ونظم الإدارة وعين الموظفين المعتمدين في المناصب المهمة و اهتم بالجيش وبنى الثكنات العسكرية، كلها عوامل جعلت من مقاومته أنموذجا يحتذي به.

وأهم مرحلة من هذه المقاومة هي عام 1837 فيها تم احتلال مدينة قسنطينة ووقوع اشتباكات طاحنة ، ورغم خطط احمد باي التي كان الهدف منها الإيقاع بالعدو إلا أنها باءت بالفشل وسقطت قسنطينة في يد المحتلين مما جعل احمد باي في موقف ضعف لكنه لم يستسلم .

و من أهم النتائج التي إستخلصناها من هذا البحث هو علاقة الأمير و احمد باي التي كانت تشكل قلب العقد في المقاومتين المنظمتين للاحتلال الفرنسي، خاصة في السنوات الأولى كما

أنها نقطة الضعف في المقاومة الجزائرية حيث كانت تتأرجح دائما بين العداء والتقارب طوال فترة المقاومة مما جعلها تثير الكثير من التساؤلات .

وفي الأخير ومهما يكن فإن مقاومة الأمير عبد القادر والحاج احمد باي تعتبر مثالا للجهاد الشريف والنضال المستميت في سبيل القضية الوطنية، فكلا البطلين أعطى الكثير للصمود في وجه العدو الفرنسي ولإنشاء أرضية صلبة ومجالا أوسع للثورات التي تلت المقاومة الشعبية في الجزائر والتاريخ يثبت أن الحركة الوطنية وثورة 1954 قد استلهمت نضالها وإيمانها من كفاح الأمير عبد القادر و الحاج احمد باي رغم اختلافهما، فهما بحق يعتبران من أهم رموز التاريخ الجزائري.

الملاحق

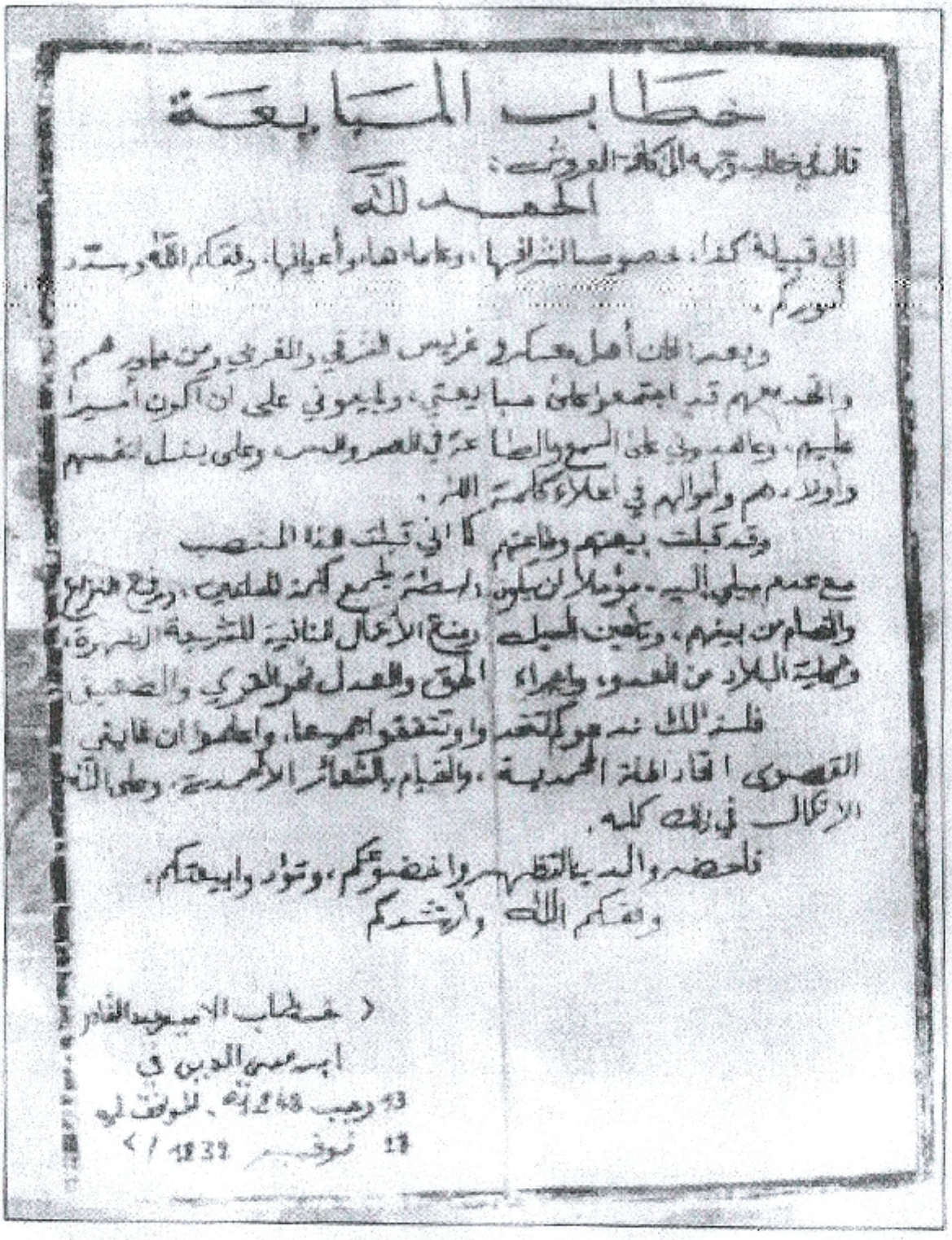

خطاب المبايعة

قال في خطابه وهو الآن العنوان:

الحمد لله

إلى قبيلة كذا، خصوصا الشرفاء منها، وعامة هاوأعيانها، وفقكم الله وسدد أمورهم.

وبعد فإن أهل معسكر وغريس الشرقي والغربي ومن جاورهم والحق بهم قد اجتمعوا على مبايعتي، وبايعوني على أن أكون أميرا عليهم، وعاهدوني على السمع والطاعة في العسر واليسر، وعلى بذل أنفسهم وأولادهم وأموالهم في إعلاء كلمة الله.

وقد قبلت بيعتهم وطاعتهم كما إني قبلت هذا المنصب مع عدم ميلي إليه، مؤملا أن يكون السلم جميع كافة للمسلمين، ورفع النزاع والخصام من بينهم، وتأمين السبيل ورفع الأعمال المنافية للشريعة المطهرة، وتهذيب البلاد من الفساد، وإجراء الحق والعدل فيها بالقدر والصغير.

فلزم لذلك أن تعينوا وتتفقوا جميعا، واعلموا أن غايتي القصوى إقامة الملة المحمدية، والقيام بالشعائر الإسلامية، وعلى الله الاتكال في ذلك كله.

فاحضروا إليّ بالتظاهر والخضوع لكم، وتوادوا وبايعتكم، وفقكم الله وأرشدكم

خطاب الأمير عبد القادر
إلى سي الدين في
13 رجب 1248 هـ الموافق لـ
13 نوفمبر 1832 م

حجر تذكاري يخلّد مبايعة أهل معسكر وغريس للأمير عبد القادر.

بديعة الحسني الجزائري : وما بدلوا تبديلا ، ص 279

الملحق رقم 2: المسجد الذي تمت فيه المبايعة .

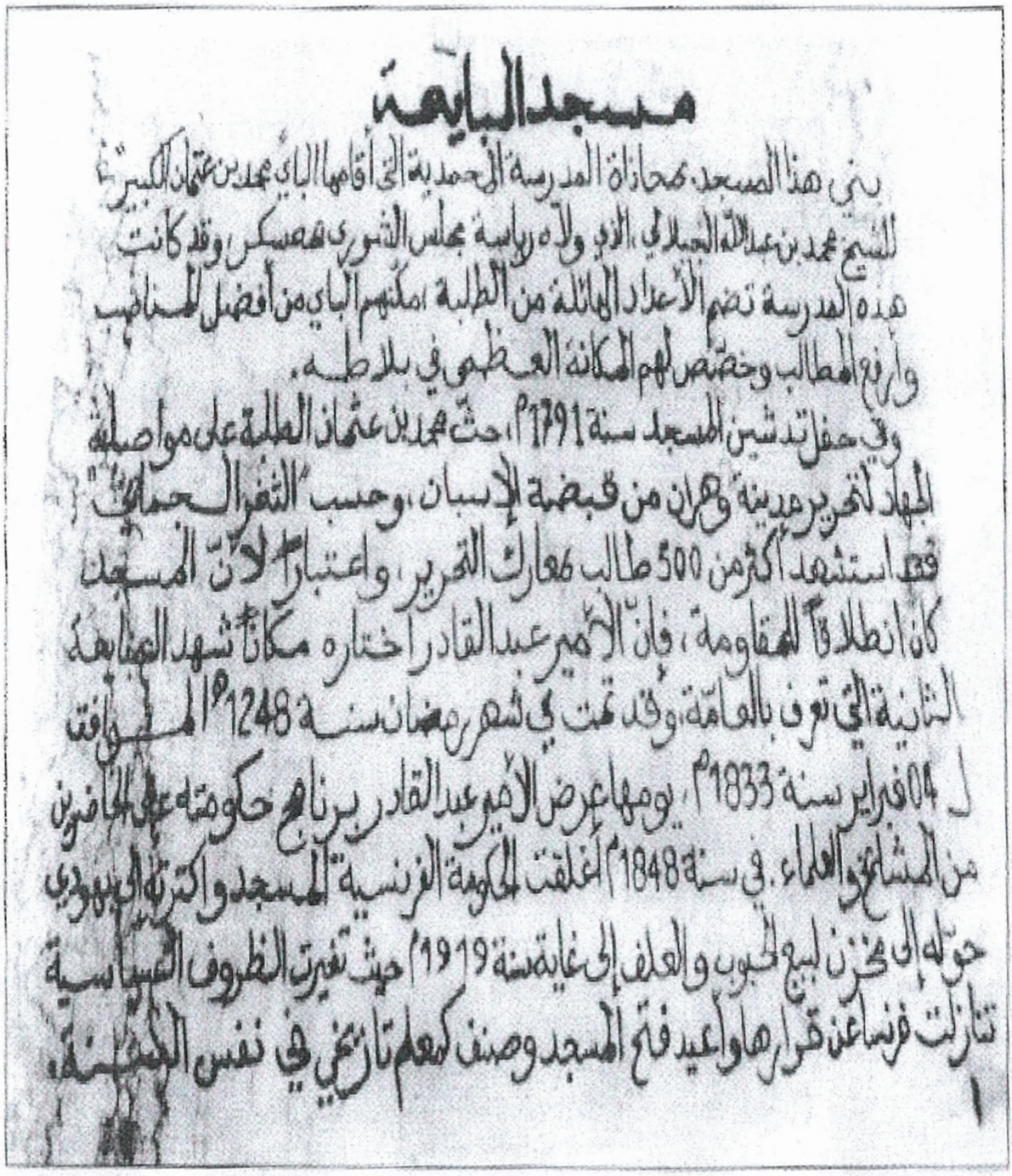

مسجد البايعة

يبني هذا المسجد بمحاذاة المدرسة الحمدية التي أقامها الباي محمد بن عثمان الكبير، الشيخ محمد بن عبد الله الجيلالي الذي ولاه رياسة مجلس الشورى بمعسكر، وقد كانت هذه المدرسة تضم الأعداد الهائلة من الطلبة، مكنهم الباي من أفضل المذاهب وأرفع المطالب وخصص لهم المكانة العظمى في بلاطه.

وفي حفل تدشين المسجد سنة 1791م، حث محمد بن عثمان الطلبة على مواصلة الجهاد لتحرير عدينة وهران من قبضة الإسبان، وحسب "التقرال حمايتي" فقد استشهد أكثر من 500 طالب معارك التحرير، واعتبارا لأن المسجد كان انطلاقا للمقاومة، فإن الأمير عبد القادر اختاره مكانا لشهد البايعة الثانية التي تعرف بالعامة، وقد تمت في شهر رمضان سنة 1248هـ الموافق لـ 04 فبراير سنة 1833م، يومها عرض الأمير عبد القادر برنامج حكومته على الحاضرين من المشايخ والعلماء. في سنة 1848م أغلقت الحكومة الفرنسية المسجد وأكرته إلى يهودي حوله إلى مخزن لبيع الحبوب والعلف إلى غاية سنة 1919م حيث تغيرت الظروف السياسية تنازلت فرنسا عن قرارها وأعيد فتح المسجد وصنف كمعلم تاريخي في نفس السنة.

الحجر التذكاري الذي وضع عند مدخل مسجد البايعة.

بديعة الحسني الجزائري : وما بدلوا تبديلا ، ص 281

نص معاهدة ديميشـــــال

إن الجنرال دميشال قائد القوات الفرنسية في إقليم وهران وأمير المؤمنين سيدي الحاج عبد القادر بن محي الدين قررا العمل بالشروط التالية:

المادة الأولى: ابتداء من اليوم يتوقف النزاع بين الفرنسيين والعرب. إن القائد العام للقوات الفرنسية وأمير المؤمنين سيبذلان مجهدهما، كل من جهته، لإحلال الود والإخلاص بين شعبين حكم الله عليهما أن يعيشا تحت نفس السلطة. ولهذا الغرض، سيرسل أمير المؤمنين ثلاثة قناصل من جهته أحدهم إلى وهران وثانيهم إلى أرزيو وثالثهم إلى مستغانم، وسيرسل الجنرال من جهته أيضا، قناصل إلى معسكر، لمنع النزاع بين الفرنسيين والعرب.

المادة 2: إن دين وعادات المسلمين ستكون دائما محل احترام وحماية.

المادة 3: إن المسلحين الفرنسيين سيطلق سراحهم حالا، وكذلك المسلحين العرب.

المادة 4: ستكون السوق حرة ولن يعترض أي من الطرفين فيها طريق الآخر.

المادة 5: كل العسكريين الذين يفرون من عند الفرنسيين يجب على العرب إعادتهم إلى الفرنسيين، وكذلك العرب الذين يفرون من عند العرب فرارا من العقوبة على مخالفة ارتكبوها والذين هربوا إلى الفرنسيين، سيسلمون فورا في عين المكان إلى قنصل الأمير في وهران أو في أرزيو أو في مستغانم.

المادة 6: كل أوربي يريد التنقل داخل البلاد سيحصل معه جواز سفر عليه ختم قنصل الأمير وختم القائد العام للإقليم حتى يكون حامل هذا الجواز محل احترام وحماية أينما حل في البلاد.

شارل هنري تشرشل : حياة الأمير عبد القادر ، ص 378

ملحق رقم 4 : من مراسلات الأمير عبد القادر والجنرال ديشال

الرسالة 1

الحمد لله وحده و صلى الله على من لا نبي بعده سيد البشر و امام المتقين و على آله و صحبه و سلم *

من أمير المؤمنين المجاهد في سبيل الله، المدافع عن الدار و الأمة المدافع عن مولانا السيد الحاج عبد القادر، إلى سعادتلو القومسير و الرهبان كاربو الجنرال القومصوبة بوجران جنيرال قواعد... [1]، و حاكم جيوشها في الدار باسة و الزعامة ديشمال السلام على من اتبع الهدى و سلك مذهبها و رشدا، و بعد فقد بلغنا مكتوبك ملتمسا من جنابنا و طلبك تسريح الاسارا الأربعة، راجيا لمنتنا راحتهم و فهمنا ما التمسته هجراء من التقسيح بمنسايا تشكواه، و تتمسفسنا سعادتهم، و تذيرنا صيانتهم، نجويبك أنا لم نطلب افتداءهم بتقديمي نفوسنا، بل بكتيبهم قاتلين لنا: إن ما تريده في فدائنا و أن عندنم قليل عند رءوسنا، و لما أن منال بهم الإلحاح و تعزز هم بز عصبهم عليكم ببذل الامتناع، ذكرنا لكم على الاهمال و الاسمال بلا تفسيل الكسال [2] و قولك و بأني بجزال لا أصبح ذاتي اليد، مصحيح و بحسب القوانين و الصادات صريح، غير أن المحرر بين الأحداد متداولة متناولة، و الرحمن على أحد المسفين دائرة بتحقيق الخبر هذا

و منكم، دينا و دنيا ابايح الأموال و الدماء الذلية و العليا الأتر [3] أن المنتسب لنا لا نحرمن بفداته و لا سراحه و لا نكالفكم منا عقب كفاحه سوى أننا قتلنا ذواتنا حتى جعلنا موتهم حياة و افتقادهم بالأسر سماتنا بمسا طلبنا منكم استثنانا و لاقابلناكم به عيانا. و قولك و لما يكون الانسان في سقام حال يلزم أن يصير و وجه إلى آخره، و هو كذلك، و نحن أولى بما هنالك، لكن تكسون تعييس ذي السقام العالي مقصورا على فك الاسارا أمر عاتسل و حسن أنسساب الحسف عادل، على أن شريعتنا ناطقة سنة و اقتداء، قال تعالى: فإما منا بعد و إما فداء، و حين إذا أمر مولانا الأمير بالفدا و حكمه به خيرا القلوب العدا. فهو عناية ما به يصرح و لا يعاب بالطلب و يقدح، بل يجب تنفيذ احكامه و التوصل لمرامه بسلا نقض لابرامه. قال الله العظيم في كتابه الكريم: و من يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه. و قال عز من قائل: و من أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه. و لو وقع خطابكم بوجيز هذا اللفظ النفيس قبل الحكسم لأجبناكم بوصول كل اسير إلى الأنيس، و مخالفة سالمرنا به مدة حلينا غير مرضية في شرعنا، و قولك: أن يحاموا عن العرب، عند عزمه أشربن إلى آخره، قلنا و اعتقادا أن من مال اليكم من الرعايع و الأوباش فعنده من العرب، و إنما هسو من جملة تخليط الزعراش بالحافي، و المحمي و المحمي عنه سواء في بسأس العداوة، موصوفون بقلة العقل و كثرة القساوة و الغباوة، مع أن الذين وصفتهم بالخيانة و الخدعة كانوا متجنبين معتزلتنا، معرضين مهمتنا و ثورتنا معتزلين عن نوادينا مبغوضين في حواضرنا و بواديتا، ثم العجب كسل العجسب ممن ركاكة تدبيرك و عدم تأييدا استيثمار توفيرك، تقاتلك العرب بالنهار و يكسوقون بالليل، و لا تلك غيرة، خوفا من فوات سيرة الحاكم مع ما تزعمه مسن وفسر كثرة بضاعتك و تأميناك بنفاتس ذخائرك و سمتاعتك تعامل بالإحسان خلسي

التافه من حضرات الشرق، وتواتده ببيع السلع بلا عقوق. فانظر واعتبر في شدة اعتنائنا بديننا وسلب افلاس موسرنا ومدينا أن الأعراب المصادقون لك لا يمشون بنواحينا ولا يبين لهم خيال طيف ببدونا وضواحينا، ومهما قبضنا منهم شخصا قتلناه أو سجناه، ولم نؤمنه بعد خشية ما بينا، ومن لا يؤمن على دينه لا يؤمن على دنياه، وغرتكم أنتم الأماني فأوقعتكم في حبالة بلواه، وكان قد اشتد بهم الحرج والمشاق وضمتهم الكرب من تحسير تأسف المحاق، وإذا ضاقت عليهم الأرض برحبها ولفظتهم جهاتها الأربع بنكبها تقربوا لنا قبلك الغربة طلبا للأمان وتأنيسا للغربة وهم من أبناء جنسنا ومؤلفات انسنا، وأنت ليسوا منك برحم من وجوه التقرب، بعداء عن عجمتك بألسنة التعرب ينتسبون لصداقتك ظاهرا، فتحبهم لما يجلبون لسوقك باهرا، فصار من كان يدعي محبتكم يتقرب إلينا برقابكم، وينال شوكة خيلكم وركابكم لله الحمد إذا جعل اذايتكم في أحبابكم شرا من أعدائكم وظفرنا بسببهم رغبتهم في عفونا غنيمة اولئكم، لو كان الغدر منا عيانا ووثاقهم بخيانتنا بيانا لكان كلامك وافيا بالمراد، خاليا من التوهين والعناد. وإذا عاد الله حجة عدونا عليه فمن حفر بئرا وقع فيه. وقولك « وأنا ما أصدق أنك تطلب مني شيء، حسب أن ذلك مني طمع للمستعين بما تبعثه لنا من فك الرقاب، وانه لا يناسبني لأن الملك لا يبني ملكه بطلب الأسباب. نعم إني مؤيد بالجيوش العزيزة والبنود المنيرة لما أبالي بما يلغك ولا أعتمد على ما بمغك وإنما اختبرت سياسة ملككم. وانتظرت ما تضمنه عقد سلمكم فألفيته قاصرا لا يتعدى طوره ولا ينفذ ماؤه غوره. وإن ظننت أننا محتاجون لما أردناه فاسمك عليك سوقك بجميع سلعه ومرماه. وقولك تفتخر تسريح الغرابة والزمالة[1] إنما أسرت المحسوبين

منك، الواثقين بك، المأمونين من خدعتك، الداخلين مدينتك صباحا ومساء، المترددين إليها أداء وقضاء، فأخذك لهم معـــرة عليـــك كأنك نهبت بعض جيوشك. فلو مننت على الأجانب من بـــلادك الغالية من وعدك وميعادك كدواوير الحبيب بوعلام وخليفة وبني عامر والحشم[2] لثبتت لك العزية والفخار في امتنانهم وتحقق امتداحك في طلـــق عنانهم هذا والزمالة مشوقون بوهران وأخذت خيـــامهم وزادهـــم حتـــى أن جيشك سمعيط بدواويرهم يقتل وينهب وهم يسبون فينا ويقولون أفسدنا والـــد السيد محي الدين متيقنين أن ذلك لا يتصور منك في جهتكم أو قـــولهم بـــك واعتمادهم عليك فيما بينكما من العهد والميثاق. ولو خلفت مـــدينتك ظهريـــا بمرحلة أو مرحلتين لبان الصبح لأحد الفريقين واستمتع القلـــب لمـــن دارت رحاه واستدارت رحى مقابله. وكونك لا تباعد المدينة لا يشفي الغليـــل ولا يبرى العليل. هذا ولا زائد.

بأمر ناصر الدين السيد الحاج عبد القادر بن محي الدين، سادس عشر من جمادى الثانية سنة 1249 [1]

1- الموافق ليوم ثلاثين أكتوبر 1833 م. الرسالة مترجمة إلى الفرنسية و لكنها تحمل تاريخ 6 جمادى الثانية خطأ من المترجم

ملحق رقم 7 : العملة التي سكها الأمير عبد القادر

العملة المحمدية التي سكها الأمير، نُقش على أحد وجهيها الآية الكريمة ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ [آل عمران 19].

- بديعة الحسني الجزائري : وما بدلوا تبديلا ، ص 282

لم يجب المارشال عن هذه الرسالة. وبعد ذلك بساعات عاد الخوجة ومعه الرسالة التالية:

"إن غزوكم لا يعتبر إهانة لي، لأن ملك فرنسا قوي، استطاع أن يحتل الجزائر والقاهرة العظمى. أما أنا، فإنني قمت بواجبي كجميع الملوك الذين يدافعون عن ممالكهم. والآن، أعترف بأن النصر لكم، فكونوا من الذين يعفون عند الانتصار، ليدوم السلم. وإني أبعث إليكم رجلا يدعى الحاج محمد بن العطار مصحوبا بالحاج باي فبلغوه نواياكم وسأعيرها كل الاهتمام إذا كانت تسمح لنا بالعيش في وئام وبشرف".

وفي رسالة ثالثة تحمل نفس التاريخ قال أحمد: "اعملوا ما شئتم، ولكنني أؤكد لكم بأنكم لن تجدوا رجلا مثلي يليق بمصالحكم ومصالح البلاد".

واعتمادا على هذه التأكيدات السلمية، اعتقد المارشال فالي أنه يمكن بواسطة اتفاقية إنهاء الحرب التي تقوم بها فرنسا منذ سبع سنوات. ولذلك صاغ المشروع التالي:

"لقد تمت الاتفاقية التالية بين الكونت فالي، القائد الأعلى للقوات الفرنسية في مقاطعة قسنطينة، والحاج أحمد باي قسنطينة":

المادة الأولى

يعترف الحاج أحمد باي قسنطينة بسيادة فرنسا، وسلطانها عليه.

المادة الثانية

تعطي فرنسا إلى الحاج أحمد باي لقب «الباشا». وهو لقب شخصي.

المادة الثالثة

يدفع أحمد باشا لفرنسا غرامة سنوية قدرها مائة ألف فرنك.

المادة الرابعة

يدير أحمد باشا من مقاطعة قسنطينة الجزء الواقع جنوب خط ينطلق من القالة ويمر بظالمة ومجاز عمار إلى حدود

ستورة، وتحتفظ فرنسا بمنطقتي ستورة والقالة. كما أنها تحتفظ بجيجل والقل وبجميع الموانئ الواقعة على ساحل بايلك قسنطينة القديم.

المادة الخامسة

يلتزم أحمد باشا بألا يتنازل لأية دولة أجنبية، مهما كانت الأسباب، عن أية قطعة من المنطقة التي يديرها. كما أنه لا يستطيع السماح لأية أمة أجنبية أن تقيم، ولو مؤقتا، في أحد موانئ هذه المنطقة.

المادة السادسة

تكون التجارة حرة بين فرنسا والأهالي وفقا للتعاريف ولأنظمة الجمارك الجاري بها العمل في البلدين. ويلتزم أحمد باشا بألا يتاجر إلا مع عنابة وغيرها من موانئ الأيالة القديمة التي يحتلها الفرنسيون. وابتداء من الآن، فإن القوافل القادمة من داخل إفريقية والتي تتوجه، في الوقت الحاضر، إلى تونس، يجب أن تغير وجهتها إلى عنابة أو إلى أي مكان آخر تحتله فرنسا وتعينه بنفسها.

المادة السابعة

إن الأسلحة والبارود، وما إلى ذلك من الذخائر الحربية التي يشتريها أحمد باشا يجب أن تؤخذ من مصانع فرنسا.

المادة الثامنة

يستطيع الفرنسيون والأوروبيون الذين يحملون رخصة من فرنسا، أن يتنقلوا بحرية، وأن يتمتعوا بحق الإقامة في المقاطعة التي يديرها الباشا. كما أن الأملاك التي يحرزون عليها تكون مضمونة، وتكون لهم فيها حرية التصرف.

ويلتزم الباشا بتعويض الخسائر التي قد يتسبب لهم فيها سكان المقاطعة التي يديرها. وبالمقابل، فإنّ الأهالي يتمتعون بحق الإقامة في الأجزاء التي تديرها فرنسا إدارة مباشرة.

المادة التاسعة

خاصة بحرية البحث العلمي.

المادة العاشرة

يجب على كل طرف أن يُرجع المجرمين إلى الطرف الآخر.

المادة الحادية عشر

لفرنسا حق اعتماد وكيل لدى أحمد، وللباشا حق اعتماد وكيل لدى الجزائر.

المادية الثانية عشر

لا قيمة لهذه الاتفاقية، إلا بعد أن يصادق عليها الملك، وحتى ذلك الحين، فإن فرنسا تحتفظ بحامية في قسنطينة.

المادة الثالثة عشر

تسلم فرنسا إلى أحمد باشا حصن قسنطينة بمدافعه، وباروده، وذخائره الحربية والغذائية على الوضع الذي يكون عليه عندما تتم المصادقة على هذه الاتفاقية.

المادة الرابعة عشر

يلتزم أحمد باشا بأن يدفع لفرنسا مبلغ 600.000 فرنك كتعويض لمصاريف الحرب.

محمد العربي الزبيري : مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة ، ص ص 74 – 76 .

المصادر و المراجع

المصادر

1- الأمير عبد القادر الجزائري:ذكر العاقل وتنبه الغافل،تحقيق وتقديم:ممدوح حقي،مكتبة الخانجي،القاهرة ،1976.

- مذكرات الأمير عبد القادر:سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849، تحقيق:محمد الصغير بناني واخزون،مراجعة محمد نهادي الحساني،الطبعة الثانية،شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع،الجزائر،1995.

2- آندري بيرنيان و آخرون :الجزائر بين الماضي و الحاضر إيطار نشأت الجزائر المعاصرة و مراحلها ، ترجمة اسطنبولي رابح و منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجزائرية الجزائر،1984.

3- الحاج مصطفى بن التهامي:سيرة الأمير عبد القادر و جهاده،تحقيق :يحيى بو عزيز،الطبعة الثانية دار الغرب الإسلامي، بيروت،2005.

4- حمدان خوجه :المرآة،ترجمة محمد الطيب عقاب ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة الرغاية 1985.

5- سكوت كلونيل:مذكرات الكلونيل سكوت عن إقامته في زمالة الأمير 1841،ترجمة و تعليق : إسماعيل العربي ،الشركة الوطنية للنشر و الطباعة ، الجزائر ،1981.

6- شارل هنري تشرشل:حياة الأمير عبد القادر ، ترجمة و تقديم و تعليق :أبو القاسم سعد الله ديوان المطبوعات الجامعية ،2004.

7- فندلين شلوصر :قسنطينة أيام أحمد باي (1832-1837)،ترجمة أبو العيد دودو،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع.

8- محمد بن عبد القادر الجزائري :تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر،تعليق ممدوح حقي ،الجزء الأول و الثاني،الطبعة الثانية ،دار اليقظة العربية.

9- محمد خير الدين : مذكرات ،الجزء الأول ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

- محمد الصالح بن العنتيري : تاريخ قسنطينة ،تقديم يحيى بو عزيز،دار هومة،الجزائر، 2005.

10- محمد العربي الزبيري : مذكرات احمد باي ،حمدان خوجة و بوضربة ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر، 2009.

- المراجع

أ – مراجع باللغة العربية :

1- أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930) ، الجزء الثاني،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1983.

- محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث : بداية الاحتلال ،الطبعة الثانية ، مركب الطباعة الجزائر ، 1982 .

- محمد الشاذلي القسنطيني (1807-1877) ، دراسة من خلال رسائله و شعره،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،1974.

- أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر الحديث ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، دار الراند عالم المعرفة للنشر و التوزيع ، الجزائر، 2009 .

- الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1900) ،الجزء الأول ،الطبعة الأولى "، دار الغرب الإسلامي،لبنان،1992 .

2- احميده عميراوي:دراسات في تاريخ الجزائر الحديث ، وزارة التعليم العالي و البحث العلمي جامعة منتوري ، معهد العلوم الاجتماعية ، قسنطينة ،1419ه 1998م.

- جوانب من السياسة الفرنسية و ردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري ، الطبعة الثانية ، دار الهدى ، الجزائر ،2005.

- موضوعات في تاريخ الجزائر السياسي ،دار الهدى للطباعة و النشر،عين مليلة الجزائر،2004.

3- أديب حرب :التاريخ العسكري و الإداري للأمير عبد القادر الجزائري (1808-1847) الجزء الأول و الثاني ، الطبعة الأولى،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر، 1983م.
4- إسماعيل العربي :حكومة الأمير عبد القادر ،إدارتها و مهامها الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ،1988.

- الأمير عبد القادر الجزائري ،مؤسس دولة وقائد جيش ،منشورات وزارة الثقافة والسياحة،مديرية الدراسات التاريخية و إحياء التراث ،الجزائر ،1984.

- المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الطبعة الثانية ،الشركة الوطنية للنش والتوزيع، الجزائر ،1982.

5- آسيا تميم:الشخصيات الجزائرية (100 شخصية تاريخية فكرية) ، دار المسك.

6- بديعة الحسني الجزائري:و ما بدلوا تبديلا(تفاصيل دقيقة عن جهاد الأمير عبد القادر الجزائري ودولته وهجرته ،الطبعة الأولى ،المطبعة العلمية،دمشق ،2002.

- الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة و التحريف،دار المعرفة ،2008

7- بسام العسلي : المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي (1830-1838) ، دار النفائس لبنان ، 2010.

8- بوعزة بوضرساية : الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة و مقاوم (1830-1848) ، دار الحكمة الجزائر ، 2010.

9- جمال قنان:قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ،1944.

- دراسات في المقاومة و الاستعمار،منشورات المتحف الوطني للمجاهد الجزائر.

10- دهينة عطاء الله : نضال الأمير عبد القادر ضد الاحتلال الفرنسي ، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2008 .

11- رابح لونيسي و آخرون:التاريخ المعاصر ، الجزء الأول ،دار المعرفة،الجزائر ،2010.

12- سليمة كبير : الحاج احمد باي الصامد في وجه الغزاة ، المكتب الخضراء للنشر و التوزيع 2006.

13- صالح عوض:معركة الإسلام و الصليبية في الجزائر (1830-1962) دراسة تحليلية الجزء الأول ، الطبعة الأولى و الثانية مطبعة دحلب .

14- صالح فركوس : الحاج احمد باي قسنطينة (1826-1850) ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ،2009.

تاريخ الجزائر من أقدم التاريخ إلى غاية الاستقلال (المراحل الكبرى) ،دار العلوم الجزائر ،2005.

- محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر (1830-1925) ، مديرية النشر لجامعة قالمة ،2010.

- المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814ق. م-1962م) ، دار العلوم ، الجزائر ،2003 .

15- عبد الجليل التميمي: بحوث ووثائق في التاريخ المغاربي من 1816-1871،تونس،1971.

16- عبد الرحمن محمد الجيلالي:تاريخ الجزائر العام،الجزء04،دار الثقافة،بيروت،1980.

17- عبد العزيز فيلالي:مدينة قسنطينة دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية ، الطبعة الأولى دار البعث ، قسنطينة ،1984 .

18- عدة بن داهة : معسكر عبر التاريخ،الطبعة الأولى ، دار الخلدونية،الجزائر،2005.

19- العربي منور:تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن 19،دار المعرفة،الجزائر،2006.

20- عزيز سامح التر : الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية،ترجمة:محمود علي عامرة،الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ، لبنان،1989.

21- عمار بو حوش : التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962، دار البصائر الجزائر.

22- عمار قليل : ملحمة الجزائر الجديدة، الجزء الأول، الطبعة الأولى ، الجزائر ، 1412هـ - 1991م .

23- فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا و شاعر المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ،1985.

24- قدور محمصاجي : شباب الأمير عبد القادر (أصله ، طفولته ، تربيته) ، ترجمة : مختار محمصاجي ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،2007.

25- الكاتب ياسين :الأمير عبد القادر و استقلال الجزائر،ترجمة :محمد هناد ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1989.

26- محمد العربي الزبيري:الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، سبتمبر1982.

27- محمد سيد محمد علي الوزير الأمير عبد القادر الجزائري ،ثقافته و أثاره في أدبه ،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1986.

28- محمد الشريف ولد الحسين:من المقاومة إلى الحرب من اجل الاستقلال (1832-1962) دار القصبة،الجزائر ،2010.

29- محمد الصالح جنابري :التواصل الثقافي بين الجزائر و تونس ،فصل:"أصداء جهاد الأمير عبد القادر" ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، 1990.

30- محمد الطيب العلوي:مظاهر المقاومة الجزائرية (1830-1954) طبعة خاصة وزارة المجاهدين ، قسنطينة ،1985.

31- محمد الهادي بن علي شغيب:أم الحواضر في الماضي و الحاضر تاريخ قسنطينة ،مطبعة البعث ،1980.

32- محمود باشا محمد:الاستعلاء على ايالة الجزائر أو (ذريعة المروحة)،ترجمة :عزيز نعمان،دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر 2005 .